ضرتي
ليست امرأة

ضرتي ليست امرأة
الكاتبة: زينب صالح
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 26691 / 2019
الترقيم الدولي: 0 - 085 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع **:Facebook Page**
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د.شاهندة الزيات
المدير العام/ أ.محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

ضُرَّتِي لَيْسَتْ امْرَأَةً

الجزء الأول

الكاتبة

زِينَةُ صَالِحٌ

دار الزيات للنشر والتوزيع

إهداء خاص

إلى أمي الغالية.

إلى أختي الوحيدة فاطمة.

وإلى صديقاتي لا حرمني الله منكن ولا أراني فيكن بأسًا ولا سوءًا.

❋ ❋ ❋

إهداء عام

اللهم تقبل مني هذه الرواية قبولًا حسنًا وانفع بها يا الله، كل الكلمات والمشاعر التي تحتوي عليها تلك السطور منا نحن النساء وبنا ولنا، وبها من الحقائق ما يؤلم القلوب وتدمع له العيون، ولكن بها أيضًا من الأمل ما يشفيها وينير لها الطرق ويزهر الدروب، أرجو منكن أن تقرأن تلك الأحاسيس وليست الحروف بقلب وعقل واع، وتفكرن في كل كلمة جيدًا.

زينة صالح .

❋ ❋ ❋

.

مقدمة

لكل سيدة متعبة مرهقة حزينة، لكل سيدة تعطي فقط دون أخذ، لكل سيدة لا يصلها حقها ومن حولها يرى حقه وواجبتها تجاهه فقط، لكل سيدة تأخذ الفتات تفضلًا من الرجل، لكل سيدة تنتظر الجنة أملًا في الراحة والفرحة لكي يكف قلبها عن ألمه، لكل سيدة أفنت عمرها لأولادها بطيب خاطر دون طلب شيء واحد لها، لكل أرملة، لكل مطلقة رأى فيها المجتمع شيئًا يجب أن يختفي لا إنسانة حقها العيش والتمتع بحياتها مع حدود الله، لكل سيدة تعمل يوميًّا كالآلة لتحقق أحلامها البسيطة ولكي تقوم بواجبتها، لكل سيدة رأيتها أو سمعت عنها وقلبي بكى لأجلها، لكل سيدة تفعل ما يفعله الرجل وأحيانًا أكثر منه؛ لأنها سيدة قوية، لكل سيدة تألمت من خيانة، أو أذى نفسي بكلمة تجرحها وتطعنها في قلبها، أو بدنيًّا بضرب من شخص مريض قليل الدين، لكل سيدة تسمع كل يوم جملة، (انتِ بتعملي إيه يعني ولا عملتِ

إيه طول حياتك؟)، وهي فعلت الكثير والكثير، لكل سيدة يرى زوجها ملخص الدين في التعدد فقط، لكل سيدة تعيش في مجتمع ذكوري عفن لا يرحم القوارير، لمعظم سيدات مصر خاصة ولسيدات المجتمع العربي عامة، أنت عظيمة، أنت جميلة، أنت قوية، أنت لا تحتاجين رجلًا كي تستطيعي العيش والوقوف في مواجهة المجتمع؛ لأنك قوية وصابرة بفضل الله وبدين الله قبل أي شيء، بالله، بالله فقط يا طيبة.

استمري.

أنتِ قوية.

أخيرًا لا بد من وجود رجال تستحق الاحترام وإن قلوا.

وأعلم بوجود سيدات لا تستحق هؤلاء الرجال أيضًا.

تلك القصة للسيدات المقهورات اللواتي أردن العيش مع رجل ووجدت فقط، ذكرًا.

❋ ❋ ❋

لقاء

كتبتت كلمات النهاية وتنهدت بسعادة لإنهائها القصة وأغلقت حاسوبها، ذهبت وبدأت في تحضير كوب من القهوة، نظرت إلى قطتها وربتت على رأسها الصغير.

جعانة يا قطوطة؟ تعالي أحضر لك فطارك، أنا انشغلت عنك كتير النهار دا.

بدأت القطة تلتهم الإفطار وتركتها في المطبخ وخرجت مع قهوتها، جلست على البحر ومعها رواية تعشقها، داعب النسيم شعرها المطلق بحرية كشعر غجرية من العصور الوسطى، تنفست بعمق وسعادة الهواء المحمل برائحة قهوتها وأحداث روايتها.

ثم...

ماما، ماما، ماماااااااا.

فزعت من نومها على صوت ابنتها ينادي، قامت مسرعة تفتح باب غرفتها.

فيه إيه يا حبيبة؟

جنة خدت قلمي يا ماما ومش عايزة تديهولي.

يا فتاح يا عليم، اندهي لي جنة ووطوا صوتكم، بابا لسَّا ميعاد صحيانُه ما جاش، بلاش إزعاج.

حبيبة: حاضر.

جاءت جنة: نعم يا ماما؟

تعالي يا حبيبتي ممكن أفهم فين حاجتك؟

حبيبة تتطوع لترد عن أختها: يا ماما كل يوم تضيع حاجة وتيجي تاخد حاجتي، هو عشان إحنا توأم يبقى حاجتي حاجتها؟

ترد الأم: لا يا حبيبتي عشان انتو اخوات واجب تساعدوا بعض، بس يا جنة مش معنى كدا إنك تاخدي حاجة أختك لما تضيعي حاجتك، يلا كملي لبسك وبعدين نشوف إيه اللي ناقصك نجيبه وسيبي حاجة أختك.

جنة: حاضر يا ماما آسفة.

الأم: يلا يا بنات عشان ما تتأخروش، استنوا، هاتوا بوسة الأول، يلا يا قطة منك ليها.

قامت تستغفر الله وتفرك عينيها وظهر شبح ابتسامة لتذكرها منامها الذي ذكرها بحلم حياتها وموهبتها المدفونة، ذهبت لتتوضأ ثم صلت فرضها وعدلت من ملابسها ومشطت شعرها، كانت جميلة بالرغم من أولادها الأربعة ومشقة التربية، إلا أنها ما زالت تحتفظ ببعض مما كان، نعم فريدة لم تتغير كثيرًا من الخارج؛ ولكن الله وحده أعلم بتغيرها من الداخل.

ذهبت لتحضير قهوتها والإفطار للجميع.

عائشة، صحيتي حبيبتي؟

عائشة مبتسمة: صباح الفل يا مامتي.

فريدة: صباح الخير حبيبتي صليتِ؟

عائشة: الحمد لله.

فريدة: شادي صحي؟

عائشة: لا يا ماما هاروح أصحيه، حضرتك اتأخرتِ علينا.

فريدة: لاااا المنبه أصلًا لسَّا ما رنش، الأستاذة جنة والهانم حبيبة هما اللي مزعجين وما اعرفش بيصحوا ازاي لوحدهم.

عائشة تضحك: أصل النهار دا فيه حفلة لفصول ابتدائي عشان كدا صحيوا لوحدهم.

فريدة: آه صحيح فكرتيني، طيب يلا عشان الحق أجهز أنا كمان.

جهزت الإفطار واطمأنت أن الجميع جاهز وينتظر حافلة المدرسة.

شادي ينادي: ماما كنت عايز أجيب ورق مراجعات من فضلك.

فريدة: حاضر هاقول لبابا، عايزاك تركز يا حبيبي السنة دي، انتَ تالتة اعدادي، يعني شهادة الله يوفقك.

شادي: يا رب يا أمي دعواتك.

فريدة: بادعي لكم كلكم والله من قلبي.

جنة: واحنا يا ماما احنا شهادة برضه تالتة ابتدائي ولا إيه؟

ضحكت فريدة: لا ازاي طبعًا، ربنا معاكم يا حبيبة، يلا خلصي كوباية اللبن من فضلك.

عائشة وراكِ دروس النهار دا؟

عائشة: لا يا ماما المستر لغى الدرس، عنده برد ولا ما اعرفش ما له!

فريدة: طيب يا حبيبتي هاستناكِ بدري النهار دا بإذن الله، هاروح لجنة وحبيبة المدرسة عشان الحفلة وبعدين أرجع على طول.

نظرت إلى الساعة... يلا بقى الوقت بيعدي.

ألقوا عليها السلام واحدًا تلو الآخر ثم أوصتهم بدعاء الخروج، وذهبت تشاهدهم من النافذة وهي تردد الأدعية بأن يحفظهم الله لها.

دخلت غرفتها وجدت زوجها استيقظ بل ويصلي، ظلت مكانها منتظرة أن ينتهي من صلاته وهي تنظر له بحب. عادل رفيق دربها، منذ تفتح قلبها على حبه أول حب في حياتها، وتدعو الله أن يكون آخر حب وسيم كما كان دومًا، أو كما تراه هي في كل وقت، جسم رياضي رغم أنه على مشارف الأربعين، بعض الشعيرات البيضاء ظهرت زادته وسامة، وجهه الحليق، عيناه الخضراوان، كل لمحة وكل سنتيمتر فيه تعشقه.

تقبل الله.. قالت فريدة مبتسمة.

عادل بابتسامة: منا ومنكم، الأولاد نزلوا؟

فريدة: آه الحمد لله هتفطر معايا؟

عادل: لا للأسف عندي اجتماع مهم.

فريدة يخيب ظنها كالعادة، كانت تعلم إجابة السؤال ولكن أصرت على طرحه لعلها تسمع إجابة ترضيها مرة.

فريدة تنظر إلى الأرض لتخفي ضيقها: طيب هتعرف تيجي حفلة التوأم النهار دا؟

عادل وهو يرتدي ملابسه: حفلة إيه؟

فريدة: هي مش حفلة بالمعنى المفهوم، بس البنات هيشاركوا في عرض مسرحي وهما مبهورين قوي بالموضوع و...

قاطعها عادل: يا فريدة هو أنا فاضي للكلام دا؟ البركة فيكِ.

فريدة تتنهد بعمق.

عادل: اعملي لي قهوة من فضلك.

فريدة: حاضر.

ذهبت لتحضر القهوة وهي شاردة.

عادل: فريدة، فريدة هاااي رُحتِ فين عمال أنده عليكِ.

فريدة: ما علش يا حبيبي عايز حاجة؟

عادل: الورق اللي كان في إيدي لما رحت في النوم شلتيه؟

فريدة: آه هتلاقيه على مكتبك.

قبل أن يتحرك إلى غرفة المكتب: ما لك انتِ تعبانة ولا إيه؟

فريدة: لا مش تعب بس حاسة...

وصمتت عندما وجدت نفسها تحدث حالها، فقد ألقى السؤال وذهب قبل أن يسمع إجابته، حبست بعض الدموع في عينيها وصمتت كالعادة.

اتفضل القهوة.

عادل يرتدي نظارته ويعبث بأوراقه كالعادة غمغم بكلمة شكر غير مفهومة، وتركته هي لتذهب إلى المطبخ لترتبه قليلًا.

عادل: أنا نازل يا فريدة، سلام.

فريدة: عادل من فضلك ما علش ابقى اسأل شادي محتاج حاجة، إيه أخباره في المدرسة كدا يعني.

عادل: فيه حاجة حصلت ولا إيه؟

فريدة: لا ما حصلش حاجة بس برضه الولد في سن محتاج تتكلم فيه معاه تشجعه، مش كل الكلام ينفع أقولهوله، دا ولد مش زي البنات.

عادل: يعني دا وقته الكلام داع الباب؟

فريدة بتذمر: ما انا ما باعرفش أقعد معاك أقول لك حاجة يا عادل.

عادل: خلاص خلاص يا فريدة حاضر، ممكن أمشي بقى؟

فريدة تبتسم بحزن: اتفضل في حفظ الله.

عادل يطبع على جبينها قبلة الباب المعتادة ويذهب.

ذهبت ترتدي ملابسها لتذهب إلى ابنتيها في مدرستهما، عدلت من وضع حجابها ووضعت النظارة الشمسية علها تخفي حزنها فيها.

في المدرسة، أشارت فريدة إلى ابنتيها وهي تبتسم وترى كم الراحة على وجوههن لما رأوها بين الحاضرين في قاعة المسرح، انتهى العرض وذهبت فريدة تنتظر جنة وحبيبة بالخارج حين الانتهاء من تبديل ملابسهن.

ماما، ماما.

التفتت على صوت ابنتيها وضمتهن بشدة وهي تهنئهن على العرض.

جنة بحماس: شفتيني يا ماما وانا باقول هنا بدأت الحكاية؟

فريدة بابتسامة: آه شفتك يا حبيبتي، كنتِ جميلة.

حبيبة تعقد حاجبيها: وأنا يا ماما كنت وحشة يعني؟

ضحكت فريدة: يا ربي عليكِ! طبعًا كنتِ جميلة جدًّا، انتو الاتنين هايلين.

حبيبة تجذب يد أختها: يييييي الحقي يا جنة شوفي مين جاي علينا؟

جنة: يا ربي، دي هنا!

فريدة تنظر وراءها: فيه إيه يا بنات؟ ما لكم ومال البنت دي؟

جنة: يا ماما دي هنا بنت مغرورة جدًّا وما حدش بيحبها.

فريدة تعقد حاجبيها: بس بس، إحنا قلنا إيه عن الكلام على حد مش موجود بينْنَا؟ عيب كدا يا بنات.

تذمرت جنة وحبيبة وصمتتا ووصلت هنا وهي تبتسم لفريدة.

هنا: إزي حضرتك يا طنط؟ أنا هنا صاحبة جنة وحبيبة.

فريدة مبتسمة: أهلًا حبيبتي آه عارفة، جنة وحبيبة لسَّا كانوا بيكلموني عنك.

هنا: بس أنا عايزة أشتكي لحضرتك، جنة امبارح طلعت لي لسانها وحبيبة قعدت تضحك.

فريدة موبخة بناتها: لا طبعًا عيب، ما علش يا هنونة، حقك عليَّ، أوعدك إنهم مش هيعملوا كدا تاني ولا إيه يا بنات؟ ونظرت إليهن نظرة حادة.

جنة وحبيبة في صوت واحد: حاضر يا ماما.

هنا تبتسم بتشفٍّ: طيب ماما حابة تسلم على حضرتك ثواني أندهها.

ماما ماما، هنا يا ماما تعالي.

سلام عليكم. قالت والدة هنا.

فريدة تمعن النظر إليها في شك.

وعليكم السلام.

صرخت والدة هنا فجأة جعلت البنات ينتفضن في أماكنهن.

لا اوعي تقولي انتِ فريدة محمود؟

فريدة: أيوة أنا، انتِ.. انتِ..

والدة هنا: منار، عباس.

فريدة تضحك بشدة: يا خبر أبيض يا منار، عاملة إيه؟ يااااااااه!

منار وهي تحتضن فريدة: مش ممكن، مش مصدقة وربنا، عاملة إيه وأخبارك؟ واحشاني والله، يا ربي عدت كام سنة ما شفناش بعض؟

فريدة: مممممم كتير كتير يا منار، من ساعة ما اتجوزتِ وسافرتِ برَّا وما سألتيش.

منار: ما علش، حقك عليَّ والله ظروفي كانت صعبة، بس مش وقته دلوقتي الحكاوي، قولي لي دول بناتك؟ ما شاء الله.

فريدة تبتسم: آه جنة وحبيبة، وطبعًا هنا الجميلة دي بنوتك.

منار: آه يا حبيبتي هنا دي نور عيني، دا انا هاجيب لها حاجة حلوة، هي السبب إننا اتقابلنا النهار دا.

فريدة: عندك غيرها؟

منار: آه معاذ تلات سنين وانتِ؟

فريدة: اللهم بارك، آه عندي عائشة تالتة ثانوي وشادي تالتة إعدادي.

منار بحبٍّ: اللهم بارك ربنا يحفظهم، يا بنت الإيه دا انتِ ما اتغيرتيش جامد يعني، لسَّا حلوة وصغيرة اللهم بارك، مش باحسد والله.

فريدة بخجل: لا اتغيرت كتيير يا منار، قولي لي تعرفي حاجة عن باقي القنبلة؟

منارتضحك: يااااااه لسَّا فاكرة، يا ستي أسماء وغادة باحاول أبقى على اتصال بيهم يعني كل فين وفين لما نعرف نتصل ببعض، بس أهو بنعرف أخبار بعض، انتِ اللي اختفيتِ يا فريدة، كان ممكن تحاولي توصلي لي ولا توصلي لحد من البنات.

فريدة بنبرة حزينة: ما علش اعذريني، بس تتعوض بإذن الله، ولا مش عايزة نرجع أيام القنبلة تاني؟

منار: عايزنا نرجع زي زمان يا فريدة، على رأي أم كلثوم.

حبيبة بتململ: ماما من فضلك هنروح احنا الفصل.

فريدة: يا خبر دا انا نسيتكم، طب يلا يا بنات روحوا.

منار: روحي يا هنا مع زمايلك، يلا سلام حبيبتي.

جنة وحبيبة ينظرن بغيظ لهنا.

حبيبة في أذن أختها: يعني مش كفاية هنا، لأ وماماتها طلعت صاحبة ماما.

جنة تكتم ضحكتها: بس لاحسن لو ماما سمعتك هتزعل.

هنا: انتو بتقولوا إيه؟

حبيبة: ولا حاجة يلا يا هنا ع الفصل، يلا اخلصي.

* * *

فريدة وهي تخرج مع منار من باب المدرسة.

طب وسارة يا منار ما تعرفيش عنها حاجة؟

منار: سارة كنا نعرف عنها كل حاجة من كام سنة كدا، بعدين قالت مسافرة مع جوزها عنده شغل ما اعرفش فين، وهوب ما عرفناش نوصل لها تاني.

فريدة: ليه كدا؟ غريبة دي!

منار: ما اعرفش والله، قلنا يمكن انشغلت ولا أرقامنا تاهت منها، الله أعلم.

فريدة: الله ييسر حالها وتكون بخير بإذن الله، طيب هاتي تليفونك بقى قبل ما انسى، ولينا قعدة كبيرة نحكي ونرغي فيها.

منار بسعادة: قعدة! قولي قعدات، اكتبي عندك.

وذهبت كل منهن بعد تبادل الأرقام كي تواصل مسؤولياتها اليومية وعقلها يعود بالزمن لسنين مضت، كم تغيرن فيها وكم كبرن وزادت همومهن!

❋ ❋ ❋

ضرتي رجل

شعرت منار بسعادة بالغة وهي في طريقها إلى بيتها، متذكرة أيام جميلة كانت تجمعها بأجمل بنات (شلة القنبلة) كما كان يطلق عليهن في المدرسة الثانوية فريدة، أسماء، غادة، سارة، وهي منار، كن جميلات، يعشقن الحياة ويعشقن مدرستهن والدراسة والأصحاب وكل ما يحيط بهن، أيام المراهقة ويا لها من أيام! دون مسؤوليات أو هموم أو منغصات من الحياة، فقط صداقة وحب ومرح، الجميع تقريبًا في المدرسة كانوا يعلمون بشأن شلة القنبلة، لعدة أسباب فـ (شلة القنبلة)، متفوقات في الدراسة، التربية، الجمال، السند لبعضهن البعض ولغيرهن من البنات.

فتحت باب شقتها ودخلت وهي ما زالت تبتسم من تلك الذكريات.

منار، تردد اسمها فجأة فصرخت وكادت أن تقع.

منار: إيييييييييه يا عبد الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فزعتني.

عبد الله يضحك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إيه شفتِ عفريت؟

منار: يا جدع دا انتَ قطعت خلفي، انتَ جيت إمتى؟ أنا نازلة من هنا وعارفة إنك لسَّا ما جيتش.

عبد الله بلا مبالاة: لسَّا راجع من شوية، كنتِ فين؟

منار بسخرية: إيه لحقت تنسى؟ مش قلت لك امبارح قبل ما تنزل إن هنا عندها حفلة وهاروح معاها.

عبد الله: آه صحيح فعلًا نسيت.

منار: دا بدل ما كنت توصلني ولا تقول آجي معاكم؟

عبد الله: يا حبيبتي ما انا عارف إنك في المواضيع دي أحسن مني.

منار بمرارة: آه صح عندك حق، واللي كنت عندهم مش عارفين إنك راجل متجوز وعندك بيت ومسؤوليات؟

عبد الله بنفاد صبر: لا عارفين.

منار بغضب: انتَ هتجنني يا عبد الله؟! انتَ داخل بيتك الساعة تسعة الصبح ونازل منه امبارح الساعة اتناشر بالليل، وآخرة السهر دا

أنا وبيتك محتاجينك، افرض معاذ ولا هنا تعبوا بالليل ولا حصلت مصيبة وكان لازم تكون موجود، هاعمل إيه أنا وقتها؟

عبد الله بهدوء: هتخبطي على مامتك، ما هي ساكنة معانا في نفس البيت، صحيح هو معاذ عندها؟

منار وبدأت تضغط على فكيها من الغيظ: آه معاذ عندها أكيد مش هاسيبه لوحده هنا، يعني انتَ شايف إن الطبيعي إن لما يحصل حاجة لعيالك ولا ليَّ اللي المفروض مسؤوليتك انتَ، أروح أخبط على ماما الست الكبيرة عشان تلحقني؟؟

عبد الله وهو يقترب منها في ود: ما علش والله القعدة خدتني وانتِ عارفة بلال صاحبي من زمان وبارتاح في القعدة معاه.

منار بحزن: كل يوم بترتاح في القعدة معاه، طب وانا يا عبد الله حقي فين؟؟ حق ولادك فيك فين؟؟ ما لناش نصيب فيك؟

عبد الله: يعني أقاطعه يا منار؟؟

منار: لا ما قلتش كدا بس الحق ما بيقولش كدا، روح يوم في الأسبوع وخلي بالك من بيتك ومن عيالك.

عبد الله بتأفف: يعني إيه بقى هو أنا مقصر في إيه؟ كل حاجتك وحاجة الولاد مجابة.

منار تبتسم بمرارة: يعني انتَ شايف إن كل الموضوع فلوس وأكل وشرب؟

عبد الله: ما خلاص بقى يا منورة عشان خاطري ما تزعليش، يعني هنا في المدرسة ومعاذ مع جدته والبيت فاضي وهنقضيها خناق وزعل؟ دا كلام برضه؟

منار: وربنا انتَ بتهرج.

عبد الله: وما له التهريج بس؟؟ تعالي هاقول لك كلمة سر ما حدش يعرفها غيري.

وجذبها بين ذراعيه في ضمة تحتاجها وتشتاقها بشدة ولكن كالعادة قلبها ينزف ألمًا ودموع عينيها متحجرة تأبى الفرار منها.

❋ ❋ ❋

ضرتي مباراة

في مكان ليس ببعيد عن فريدة ومنار كانت أسماء تحضر الإفطار لزوجها محمد حسين الموظف في شركة استيراد وتصدير خاصة.

أسماء: صباح الخير يا حبيبي.

محمد: صباح الفل يا سومة.

أسماء: يلا الفطار جاهز بسرعة عشان ما تتأخرش.

محمد: حاضر خلاص خلصت لبس، هاصلي وآجي.

اطمأنت أسماء سريعًا على ابنها مالك ذي الأربع سنوات في سريره وجلست على طاولة الطعام منتظرة زوجها ينتهي من صلاته لتتناول إفطارها معه.

محمد انتهى وجلس معها وأمسك هاتفه.

أسما متذمرة: محمد انتَ هتمسك التليفون على الفطار! هو أنا هاكل مع مين؟!

محمد وهو ما زال ينظر على شاشة الهاتف: معاكِ أهو يا حبيبتي يلا بس ابدئي، بسم الله.

أسماء: يا محمد طب سيب الموبايل وكل معايا واتكلم معايا شوية.

محمد وهو يغلق الهاتف: ما علش يا حبيبتي أصل ماتش الأهلي والزمالك النهار دا والفيس والع بقى انتِ عارفة الزمالكاوية بيموتوا مننا.

أسماء تكاد تبكي: وكمان فيه ماتش النهار دا؟

محمد بحماس كالأطفال: آه أُمال، دا ماتش هيبقى نااااار، ابقي حضري لي القعدة بقى وظبطيني.

أسماء وقد فقدت شهيتها للطعام: حاضر من عينيَّ.

محمد ينظر إلى ساعته: يلا يا دوب أوصل الشغل.

قبل رأسها سريعًا وأمسك هاتفه يفتحه مجددًا وهو يمسك حقيبة عمله ويخرج من باب منزله مسرعًا، وتجلس أسماء تنظر إلى الطعام كأن فيه حية ستلدغها إن مدت يدها، فقامت وتركته ودخلت غرفتها لتفتح حاسوبها وتكتب على حسابها على موقع التواصل الشهير (الفيس بوك).

(الغربة مش غربة وطن الغربة غربة قلوب).

* * *

ظهر المنشور الذي كتبته أسماء لغادة التي كانت تراقب حسابها سريعًا قبل أن تذهب بلؤي الصغير البالغ من العمر سنتين إلى روضته، ثم تذهب بلوجين ذات الخمس سنوات إلى مشفى متخصصة في العلاج الطبيعي لمن هم في مثل حالتها، التي شخصها الطبيب منذ سنوات بأن لديها ضمور في المخ سبب صعوبة الحركة والكلام، إعاقة تؤلم قلبها كل يوم ولكنها صابرة محتسبة، دائمًا الابتسامة بالرغم من حزنها الذي يسكن قلبها الحنون. اطمأنت على ذهاب أدهم مدرسته، ثم فتحت حسابها على (الفيس بوك).

صباح الفل يا أسماء، قالت غادة محدثة نفسها.

وعلقت على المنشور بمزحة علها تخرج صديقتها مما هي فيه:

يا اختي قولي صباح الخير غربة إيه وبتاع إيه؟

ردت أسماء:

هههههههههههههههه صباح الفل غدغودة.

لترد غادة:

ارجعي بلدك وكفاية غربة كدا بلا وجع قلب.

ردت أسماء:

هههههههههههههه يا بنتي انتِ إيه؟! كل حياتك هزار كدا! اتكلمي جد شوية.

لترد غادة بتعليق آخر:

خدنا إيه من الجد بلا هم، يلا صباحك سكر على رأي كاظم الساهر، أنا عارفة سهران ليه ما ينام بدل ما وراهوش عيال ومدارس.

لترد أسماء بملصق يضحك بشدة، ثم تكتب.

صباحك عسل يا عسل، أنا عارفة إنك مشغولة الله يعينك.

غادة:

وإياك حبيبتي يلا سلام هابقى أكلمك تاني بإذن الله ونشوف البت منار فينها.

أعجبت أسماء بالتعليق وتركتها لتذهب إلى مسؤولياتها الكبيرة، وهي تدعو لها أن يربط الله على قلبها ويوفقها.

انتِ مش نازلة بالبنت المستشفى ولا إيه؟

قال أشرف زوج غادة.

غادة بابتسامة شاحبة: طب قول صباح الخير الأول.

أشرف: صباح الخير.

غادة: صباح النور، لأ نازلة بإذن الله، بس لسَّا الميعاد بدري فقلت استنى شوية بدل ما افضل قاعدة في الاستقبال ع الفاضي.

أشرف: قلت لك وديها لعيادة خاصة بدل بهدلة المستشفيات.

غادة: أقرب عيادة من هنا بتاخد وقت كبير عشان أوصلها، وكمان ميعادها بالليل، مش هينفع يا أشرف أدهم محتاج وجودي لمذاكرته، وكمان لؤي صغير الحضانة فاتحة الصبح أسيبه فيها لكن بالليل أوديه فين؟

أشرف: براحتك أنا باحاول أريحك.

غادة بسخرية: تريحني؟ عايز تريحني تبقى تاخد لوجين انتَ للدكتور بالليل وتسيبني أشوف اللي ورايا في البيت والأولاد، بدل ما اروح أنا واتبهدل زي ما بتقول أو تقعد مع أدهم تذاكر له شوية، أو لؤي تلاعبه شوية دي المساعدة اللي بجد.

أشرف بغضب: يووووه، أنا غلطان، سلام عليكو، أنا نازل شغلي، اتأخرت.

غادة بلامبالاة: وعليكم السلام ورحمة الله.

وجلست تحدث نفسها، أليس لي حق في وقته، وأولاده أولى بمساعدته؟ حين أتكلم معه لا ينصت لي وأبسط وصف لي أني زوجة تعشق المشاجرة، ولكن عندما تحتاجه أخته أو أخوه يهرع إليهما، وهما لديهما من يساعدهما ويسهر على راحتهما، والله يا ربي لا أعترض على مساعدته لأهله؛ ولكن أنا أيضًا أريده بجانبي وأطفاله يستحقون تواجد السند والعون منه بعد الله سبحانه وتعالى، ألسنا رعيته وأليس كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؟؟ وانهمرت الدموع من عينيها دون أن تدري وهي تناجي ربها أن يعطيها القوة لمواجهة الحياة بشجاعة.

* * *

ذهبت فريدة إلى شقتها وهي تشعر بسعادة كبيرة من رؤيتها لمنار، استرجعت عشرات الذكريات منذ أن رأتها إلى الآن، كيف ابتعدت عن صديقاتها هكذا؟ لم تسأل نفسها وهي تعلم الإجابة جيدًا، منار محقة، لو أرادت أن تتواصل معهن كانت فعلت، ولكن عادل منعها، لم ينهرها أو يعنفها ولكن بطريقته الخاصة وممنوعاته التي لا تنتهي. أنا لا أحب الاختلاط، لا أحب الضوضاء، لا أحب الزحام، لا أحب الخروج كثيرًا، لا أحب أن تتحدثي مع أي أحد وأنا موجود، أغلقي الهاتف،

أغلقي الحاسوب، ماذا تشاهدين؟ لم تشاهدين ذلك؟ ألن تذهبي إلى النوم تأخر الوقت، كطفلة عاملها وليس شريكة حياته التي تود أن تقتسم معه كل شيء ليس فقط سريره، لم يفهم ماذا تريد فهي لم ترد مجرد مال لشراء حاجيات غالية كانت أو رخيصة، لم ترد مالًا يشتري لها أشياء؛ أرادت رجلًا بجانبها يغمرها بالعواطف، بالمشاركات التافهة في نظره، فهو كمعظم الرجال نصف العواطف والاهتمامات والاحتياجات إن لم تكن كلها، تافهة، وضع نفسه في قالب ووضعها معه مجبرة، أنجبت طفلًا تلو الآخر، وهو لا يعلم عنهم شيئًا أكثر من دفع الأموال للدراسة أو للطعام أو للملابس، أليست الحيوانات تأكل وتشرب وتنام؟ أليس الفرق بيننا قلوبنا، وعقولنا، وماذا تريد قلوبنا غير الحب؟! وماذا يكون الحب غير الاهتمام؟!

تنهدت بقوة كادت أن تحطم قلبها فيها، وفتحت التلفاز على القرآن فهو يؤنس قلبها وأذنها، وبدأت في عملها اليومي، غسيل ملابس، تحضير مكواة، مطبخ، ترتيب، مراجعة جدول مذاكرة أولادها وهكذا إلى أن رن جرس الباب وكانت ابنتيها التوأم جنة وحبيبة.

حبايبي انتو جيتوا بدري عشان موضوع الحفلة دا؟!

جنة: آه يا ماما خرجونا بدري عشان كان فيه ناس غايبة كتير.

فريدة: طب يلا يا بنات على أوضتكم، غيروا واغسلوا وشكم وإيديكم، تحبوا أحضر لكم حاجة تاكلوها؟ الأكل لسَّا على النار.

حبيبة: آه يا ماما ممكن آخد ساندويتش من فضلك.

جنة: لا يا ماما أنا هانام، ما وراناش واجب ولا حاجة.

فريدة: طيب حبيبتي نامي وانتِ يا حبيبة غيري وحصليني على المطبخ.

أسرعت فريدة للمطبخ تحضر الشطيرة لابنتها.

حبيبة: مين طنط منار دي يا ماما؟

ابتسمت فريدة: دي صاحبتي من زمان زيك انتِ وصحابك كدا.

حبيبة: غريبة!

فريدة: هي إيه؟

حبيبة: عمري ما شفت لحضرتك أصحاب.

فريدة بتوتر: آه الوقت شغلني عنهم يا حبيبتي، بس سبحان الله قابلتها في أغرب مقابلة ممكن تحصل.

حبيبة بامتعاض: هو حضرتك هتعزميها هنا هي وبنتها؟

فريدة تضحك: آه قولي كدا بقى، انتِ مش عايزة هنا تيجي هنا صح؟

حبيبة بإحراج: لا مش قصدي بس الصراحة مش هاكون مستريحة.

فريدة: ما تقلقيش يا حبيبة لو هنتقابل هيكون برَّا غالبًا، بس عايزة أقول لك إن عيب كدا، عيب تسألي ماما عن حاجات ما تخصكيش وعيب كمان تتضايقي من مجي هَنَا عندك، دي زميلتك وأعتقد إنها ما أذتكيش في حاجة، بس اطمني هنتقابل برَّا، ثم ابتسمت بسخرية، دا لو اتقابلنا.

حبيبة: آسفة يا ماما، وشكرًا لحضرتك.

وقبلتها على وجنتها ثم أخذت شطيرتها وخرجت.

حدثت فريدة نفسها: نتقابل؟؟؟ هاه والله نكتة!

* * *

رن هاتف أسماء فأسرعت ترد خوفًا من أن يوقظ الرنين الصغير مالك.

السلام عليكم، قالت أسماء.

المتصلة وكانت منار: وعليكم السلام حبيبتي إزيك يا سومة.

أسماء: الحمد لله يا منو، عاملة إيه انتِ حبيبتي؟

منار: الحمد لله، عندي ليكِ خبر بمليون جنيه.

أسماء بسخرية: إيه النادي الأهلي ولع؟

منار تضحك: أعوذ بالله، يا بنتي انتِ الكورة لحست مخك خلاص.

أسماء: الكورة لحست مخ محمد مش مخي أنا، باقول لك إيه ما تفكرينيش، قولي لي الخبر.

منار: طب يا اختي، عارفة قابلت مين النهار دا؟

أسماء: مين يا حاجة؟

منار: حد من شلة القنبلة إن إن تششششش.

أسماء: وربنا؟؟؟ بتهرجي يا منار.

منار: والله أبدًا باتكلم جد.

أسماء: مين سارة؟ ولا تكونش فريدة، يا نهاارر.

منار: هي بعينها، فريدة.

أسماء: الله الله على الأخبار اللي تفرح على الصبح.

منار تضحك: مش قلت لك، فكك بقى من الأهلي والزمالك وكبري دماغك.

عادت أسماء للحزن: ولما أفكني يروح يتفرج فين؟

منار: قال يعني لما بتتفرجي معاه بياخد باله، فاكرة يا سوسو لما الأهلي جاب جون قام نط بكوباية الشاي وهي في إيده حماكِ بيها وهي سخنة.

أسماء ضحكت بشدة: بس ما تفكرنيش بقى قلت، انتِ لسَّا فاكرة! دا أنا نسيت، دا انتِ باجور.

منار بحنان: لا والله، عايزاك بس ما تحطيش في نفسك كدا صوتك باين عليه حبيبتي.

أسماء مازحة: انصحي نفسك يا بنتي، ما انتِ كمان باين عليكِ مضايقة يا منو صح؟

منار تتنهد بحزن: لا أبدًا، أنا فوضت أمري لله، النهار دا راجع الصبح برضه من عند بلال صاحبه دا وعادي جدًّا عمال يتوه بالهزار وفي الآخر ضحك عليَّ بحضن وشكرًا.

أسماء تمازح صديقتها لتهون عليها: يا بنتي قلت لك تعالي نشوف لبلال دا عروسة هتشكمه وتنكد عليه في البيت.

منار: عروسة؟ دا انتِ رايقة، وهو اللي زي دا يتجوز ليه أصلًا؟ واحد عايش مع نفسه، عنده شقته وشغله وصحابه وخروجاته يروح يجيب لنفسه مصيبة ليه؟

أسماء: يخرب بيت عقلك، بقى الجواز مصيبة؟ يعني بالله مش ميتة في دباديب سي الأستاذ عبد الله؟

منار بجدية: يا حبيبتي وهو جايبني ورا إلا الحب دا! ولا تكوني فاكراه عشان بييجي عليَّ وهادر حقي فيه وانا ساكتة، هاكون باكرهه؟! أبدًا يا منار، اللي يحب ما يعرفش يكره، بس بيتوجع، بيتوجع قوي وبيموت من جوَّا.

أسماء: الله بقى، خلاص يا منار، والله أنا قصدي أفرفشك مش عايزاك تبقي زعلانة كدا، هاعيط والله.

منار: انتِ ما صدقتِ يا نكد، المهم عايزين نقول لغادة على خبر فريدة دا ونتقابل، ويا سلام بقى لو حاولنا نعرف حاجة عن سارة كمان يبقى القنبلة هتنفجر قريب.

أسماء: تنفجر في مين عايزة تحبسينا؟!

منار: يا بنتي نتحبس ليه؟ إحنا لو فجرناها في الرجالة المجتمع بأكمله هيصقف لنا ويعمل لنا نصب تذكاري.

أسماء تقهقه: يا ربي! بس يا منار الولد هيصحى ووراية حاجات عايزة أعملها.

منار: حتة ولد واحد عامل لك أزمة يا فاشلة، هو الفيس زفت دا هو اللي مضيع وقتك، سيبي التليفون والتاب شوية لله.

أسماء: لا دا بيهون عليَّ قعدتي ونكدي والماتشات، على أساس إنك سايباه، تعالي نعمل لفريدة أكونت ونعمل جروب لا للرجال لا للضرات.

منار: ضرات؟

أسماء: آه يا حبيبتي ما هي الضرة اليومين دول ما بقيتش ست بيتجوزها الراجل وبس؛ لا دي بقت فيه ضرة شغل، وضرة كورة زي كدا، وضرة راجل زي بلال كدا، وفيه ضرة فلوس وفيه ضرة عربية ووو، يووووه ما تعديش الستات اتخنقت خلاص.

منار: بس بس، كفاية، هي ناقصاكِ! اجري اجري كفاية عليَّ جوزي وصحابه مش ناقصة وش، دا كل يوم بيبقى فيه مسلسل عربي بيقعد

يحكي لي عملوا إيه وكلوا إيه وبلال راح فين وبيحب إيه تقوليش هاتجوزه!

أسماء: الله يهديه والله يا منار، ما علش حبيبتي اصبري، المهم هابعت لغادة أقول لها على فريدة ولما تفضى ترد ونشوف هنعمل إيه، هي دلوقتي ببنتها في المستشفى أكيد، الله يشفيها يا رب ويعافي ولادنا.

منار: يا رب يا رب، يلا سلام عليكم بقى ورايا شغل كتير.

أسماء: وعليكم السلام حبيبتي.

❋ ❋ ❋

ضرتي أم زوجي

في المستشفى تجلس غادة منتظرة دورها للعلاج الطبيعي ولوجين الصغيرة الجميلة على كرسي متحرك.

رن هاتفها أخرجته من حقيبتها وعقدت حاجيبها.

ألو.

المتصل: ألو أيوة يا غادة انتِ فين؟

غادة: أيوة يا حماتي أنا بلوجين في المستشفى.

حماتها: طيب هتيجي إمتى؟ عايزة حاجات من السوق وعبير مش جاية النهار دا وراها شغل.

غادة تكاد تبكي: طيب بس أنا مش عارفة هاجي إمتى، لسَّا دوري ما جاش، ولسَّا هاروَّح لوجين وأجيب لؤي من الحضانة غير أدهم لازم أكون في البيت لما ييجي.

حماتها تتأفف: خلاص يا غادة هاشوف حد من الجيران يجيب لي بدل مرات ابني مشغولة.

غادة: خلاص هاعدي على حضرتك لما أخلص حاضر.

حماتها: طيب سلام.

أغلقت غادة الهاتف وهي تتنهد بمرارة وتصمت كعادتها.

لوجين أشرف، نادت الممرضة بصوتها الرنان قامت غادة لتبدأ الجلسة، وهي تدعو الله بالصبر فقط الصبر يا رب.

* * *

في منزل فريدة كان اليوم يمضي كمثله، تتابع أبناءها، تعد الطعام، تصلي فروضها، لا شيء مختلف، لا شيء، أرادت أن تطمئن على زوجها فإحدى أمنياتها أن يتصل بها مرة في خلال اليوم يسألها عن حالها أو حال الأولاد، ابتسمت في سخرية لتصرفها فهي كلما اشتاقت لشيء تريده منه فعلته هي كي تشعر بسلام نفسي، هل كانت تشعر فعلًا بسلام نفسي بتصرفاتها تلك أم كانت تتمزق ولكن تريد أن تضحك على نفسها بشيء ما لا فائدة منه؟! فهي ما زالت تنتظر أن يتغير ويشعر بنبض قلبها.

ماما ماماااا، نادت عائشة.

فريدة: بسم الله، إيه يا عائشة في إيه؟

عائشة: يا ماما عمالة أنده على حضرتك ما بترديش.

فريدة: آديني رديت قولي لي بقى فيه إيه؟

عائشة: فيه رحلة في المدرسة ونفسي أروحها من فضلك مع صحباتي.

فريدة: طيب حبيبتي ابقي استأذني من بابا لما ييجي بإذن الله.

عائشة: وانا باشوف بابا؟

فريدة بحزن أخفته: وبعدين يا عائشة! اتكلمنا في الموضوع دا كتير، ما انتِ عارفة شغل بابا واخد وقته قد إيه، وهو بيعمل كدا لمين؟ مش عشانْنَا؟

عائشة بعدم اقتناع تتنهد: طيب يا حبيبتي من فضلك لما ييجي قولي له وشوفي رده إيه.

فريدة: حاضر يا حبيبتي، يلا سيبيني بقى أروح أصلي المغرب.

ذهبت عائشة لغرفتها لتواصل مذاكرتها، وظلت فريدة تفكر في حديث ابنتها، هي تعلم أن عائشة لديها كل الحق فيما تقول، ويؤلمها ترديدها حجة عادل في غيابه عن المنزل، فهو دائم ترديد كلمات لا معنى لها لنا، تعبي لأجلكم، غيابي من أجل توفير المال، عملي يحتاج تركيزًا، الحياة أصبحت صعبة، إلخ إلخ إلخ...

تعبت فريدة من مبرراته تعبت من المناقشات معه التى لا تنتهي، تعبت من التفكير، من الحزن، من الإرهاق مع الأولاد والحياة، لا تصل أبدًا إلى بر يريحها أو يهدئ انفعالاتها، مع الوقت بدأت توافق على مبرراته على آرائه، ليس اقتناعًا؛ ولكن إرهاق، فما دامت موجودة في حياته لن يشعر بها، ما دام اعتادها فلن يفرق تعبها معه، فهو متأكد من بقائها، ومن تأكد من بقاء شيء تحت يده أتى على حقه دون أن يرف له جفن، دون أن يعلم كم يجرحه ويعذبه.

استغفرت الله وقامت لتتوضأ وتدعو الله بصلاح الحال.

* * *

كانت أسماء في المطبخ تعد القهوة لمحمد زوجها، كادت أن توقع ما بيدها عندما سمعت صرخة تصدر منه، ولكن سريعًا ما هدأت عندما سمعته يصيح في حكم المباراة التي يشاهدها أنه ظالم وغبي، لوت فمها بضيق ثم أخذت طبق الفاكهة وخرجت.

اوعي يا أسماء بسرعة، صاح فيها وهي تضع الطبق أمامه فتحركت سريعًا لتأتي بالقهوة.

اتفضل يا حبيبي، قالتها مبتسمة.

أخذها وهو يهز رأسه وعينه مثبتة على شاشة التلفاز.

تنهدت وحاولت فتح حديث معه: تخيل منار صاحبتي قالت لي النهار دا إنها قابلت صاحبتنا من أيام المدرسة صدفة.

لم يرد.

فرحت قوي واتفقنا إننا نتقابل بإذن الله.

محمد: يا جدع حرام عليك، دي كورة دي يخرب بيت كدا.

أسماء تنظر لمالك صغيرها وهو يلعب بألعابه أمامها.

لوكا حبيبي خد، تاخد موزة؟

مالك: موزة موزة جميلة، موزة موزة موزة.

أسماء تضحك: انتَ هتغنيها!

مالك: طيور الكنة بيخنوها، أنا الموزة القمورة صفرا وحلوة وخنتورة.

ضحكت أسماء: كنة وخنتورة؟؟؟

صاح محمد: إيه يا أسماء مش عارف أركز كفاية رغي.

انتفضت أسماء من صراخه بها وصمت مالك فجأة وكاد يبكي.

أسماء بحزن: خلاص يا محمد أنا قايمة من هنا خالص، صرعت الولد، يلا يا مالك تعالى نلعب في أوضتك.

قامت وهي تمسك طفلها بيدها وتود لو تحطم ما يقابلها.

محمد بتأفف بعدما ذهبت زوجته: الواحد ما يعرفش يتفرج على حاجة في البيت دا، يا ريتني كنت اتفرجت على القهوة مع صحابي أحسن.

* * *

يا أدهم، أدهم، تعالى يا حبيبي، نادت غادة.

أدهم: أيوة يا ماما.

غادة: يلا ساعدني في توضيب السفرة يا حبيبي، خد طبق السلطة دا برَّا.

جاء لؤي: ماما ماما ماما، مممممم.

ضحكت غادة: آه يا لوءا مممم، يلا روح مع أخوك وأنا جاية.

أشرف: إيه يا غادة الغدا خلص ولا إيه؟ أنا ميت من الجوع.

ابتسمت غادة: آه يا حبيبي خلاص أهو.

أشرف بتذمر: اتأخرتِ النهار دا قوي.

غادة: ما علش انتَ عارف اليوم بتاع الجلسة بابقى راجعة مهدود حيلي، وكمان طنط مامتك كلمتني جبت لها حاجات من السوق لما رجعت عشان كدا اتأخرت.

أشرف: والله؟ طب كويس، والدكتور قال إيه على لوجين النهار دا؟

غادة بحزن: هيقول إيه يعني؟ زي ما هي الله يشفيها.

أدهم: ماما لوجي عايزة تشرب.

غادة: خد يا حبيبي شربها، على ما أخرَّج بقية الأكل.

أشرف: يلا عشان هاكل واروح لعماد أخويا.

غادة تعقد حاجبيها: ليه فيه حاجة؟ ما انتَ كنت عنده امبارح.

أشرف: إيه يا غادة هو لازم عشان أروح لاخويا يكون فيه حاجة؟ وبعدين دا أخويا وقت ما يحتاجني يلاقيني.

غادة: إيه يا أشرف هو انا قلت حاجة، اهدا بس، لا حول ولا قوة إلا بالله.

أشرف: خلاص يا غادة خلصنا، واعملي حسابك منى وأميرة جايين بعد بكرة على الغدا.

غادة: بس انتَ عارف إن بعد بكرة الجمعة، وتقريبًا اليوم الوحيد اللي بارتاح فيه أو ما بانزلش فيه.

صاح أشرف: خلاص أقول لهم ما تيجوش بيت أخوكم الكبير عشان غادة عايزة ترتاح وانتو هتتعبوها.

غادة تحاول أن تهدأ: يا أشرف افهمني، أنا طول الأسبوع من المستشفى لطلبات البيت والولاد، غير لوجين بالذات انتَ عارف بتحتاج لمجهود خاص فيها، إيه لما ارتاح شوية؟ ويا ريت هارتاح زي بقية الناس، لا برضه هيبقى فيه شغل، وليه ما حدش بيقول لي إنهم جايين عشان أشوف ظروفي إيه.

أشرف: يا سلام! والله دا اللي ناقص يستأذنوكِ الأول عشان ييجوا بيت أخوهم؟؟

غادة: آه يا أشرف المفروض يستأذنوني، دا الاستئذان في الإسلام.

أشرف: هما كلموني وأنا رحبت بيهم، باقول لك إيه، أنا مش واكل هاروح لأخويا دي حاجة بقت تخنق سلام.

أمسكت غادة رقبتها في إرهاق وأغمضت عينيها في غضب وصمتت.

* * *

أمسكت أسماء هاتفها وفتحت (الفيس بوك)، فالساعة تعدت العاشرة وما زال محمد أمام التلفاز، انتهت المباراة يشاهد تحليل المباراة، انتهى ذلك التحليل شاهد قناة أخرى تنقد أخطاء اللاعبين، وهكذا هلم جرًّا، شعرت أن الصداع أصابها من المشاحنات بين المذيعين وضيوفهم، وبين عصبية هذا وذاك، نام مالك وبقيت هي وحيدة في غرفتها، أرسلت رسالة لغادة علها تكون مستيقظة مثلها.

انتِ هنا؟ كتبت أسماء.

ردت غادة فورًا: هاروح فين يعني؟ آديني مرزوعة.

أسماء: ما لك بس يا حبيبتي؟

غادة: .....

أسماء: طب احكي طيب.

قصت عليها غادة ما حدث.

أسماء: أوف أوف، طب وهتعملي إيه؟

غادة: ولا حاجة هاستقبلهم وأطبخ وأحط وأشيل زي كل مرة.

أسماء: نعم يا اختي؟

غادة: أمال عايزاني أعمل إيه يعني؟

أسماء: هو إيه اللي تعملي إيه؟ ما تنفجري فيهم، اعترضي، دوري على حقك يا غادة بالأدب والذوق، ما قلتش تمسكي في خناقهم.

غادة: ....

أسماء: يا سلام ودا معناه إيه بقى؟

غادة: معناه إني مش عايزة مشاكل، تفتكري لو عملت كدا إيه اللي هيحصل؟ ولا حاجة، ولا شيء هيتغير، ولما باروح اشتكي لأهلي عارفة الرد إيه؟ ارجعي بيتك، ما علش بكرة يتغير، هو فيه راجل بيساعد مراته، يعني يبيع أمه ولا يتبرا من اخواته؟ ولما مرة تعبت وكنت حتى لسَّا ما جبتش لؤي طلبت الطلاق، ويا خرابي على المصيبة والجريمة اللي عملتها بالنسبة لهم، إزاي تطلبي الطلاق، مع إني بابقى طالباه غصب عني من تعبي، وعارفة إني باحب أشرف قوي بس هل بيدوروا على حل معايا يساعدني ولا يرضيني؟! طب بيحاولوا يعرفوا إيه اللي مزعلني؟ لأ؛ كل اللي عندهم ما عندناش بنات تتطلق، ما ينفعش، الناس تقول إيه! هع الناس تقول إيه! وأنا حقي فين يا أسماء، أنا حقي فين؟ ومع كل مشكلة يقول لي هاتغير وخلاص وانا باحبك ويرجع أبوك عند أخوك، اسكتي يا أسماء بالله عليكِ اسكتي، أنا على آخري وسلمت أمري لله.

شاهدت أسماء رسالتها ولم تعلم كيف تجيبها؛ فهي تعلم جيدًا بكل ما تخبرها به، فنحن في مجتمع عيب فيه الطلاق، عيب الشكوى، عيب أن تطالبي بحقك كما يطالب الرجل بكل شيء فيك، اهتمامك، وقتك، صحتك، حنانك، قلبك، بل حتى أنفاسك، وفي بعض الحالات مالك، وأنت ماذا عنك؟ أنت تشكرين الله عز وجل على بيتك الذي تعيشين فيه وترضين بالفتات من المشاعر والعواطف، بل وتكونين سعيدة، وإن حدث واعترضت فأنت ناكرة لجميل هذا الرجل الرائع، ولفضل الله عليك، كأن كل القصة طعام ونوم هذا ما تحتاج إليه المرأة في مجتمعنا الشرقي والمصري بالأخص، وكل ما علم الرجل بحبك له كلما زاد في جفائه وإهداره لحقك؛ لعلمه أنك باقية وحبك له قيد حول رقبتك وأغلال في يدك بدلًا من أن يكون طوق ورد فوق رأسك، ونورًا داخل قلبك، إلا من رحم من الرجال، الذين يستحقون لقب رجل بالفعل.

أخيرًا ردت أسماء: طيب اهدي خلاص.

صحيح عندي ليكِ خبر مفاجأة، قنبببلة.

غادة: هههههههه قنبلة! قولي فرحيني.

أسماء: منار كلمتني النهار دا وقالت لي إنها قابلت فريدة محمود.

غادة: وربنا؟

أسماء: أنا مصدقتش زيك كدا في الأول وكنت هاتجنن م الفرحة.

غادة: كانت فين كل المدة دي؟

أسماء: ولا أعرف حاجة، بس لينا قعدة بقى بإذن الله ونحكي، يا سلام لو نعرف طريق سارة كمان، تبقى القنبلة كملت هههههههه.

غادة: آه تصدقي مممممم، عارفة يا سومة ممكن مين يدلنا عليها؟

أسماء: مين؟

غادة: أختها رشا، كان معايا رقمها من زمان الأرضي، نجرب يمكن ترد.

أسماء: فكرة حلوة جدي، طب بكرة ابقي قولي لي عملتِ إيه، هاقوم أنام مش قادرة مالك طلع عيني النهار دا.

غادة: هههههههه قومي يا فرفورة تصبحي على خير.

أسماء: وانتِ بألف خير يا قلبي، سلام عليكم.

* * *

أنهت فريدة تنظيف المطبخ بعد أن نام أولادها للاستيقاظ مبكرًا للمدرسة، واغتسلت وارتدت ملابس نوم جديدة كانت اشترتها منذ

فترة ولم تأتِ الفرصة لارتدائها، ووضعت بعض مساحيق التجميل فزادتها جمالًا، وانتظرت زوجها كالعادة.

انتفضت على صوت باب الشقة يغلق فقامت مسرعة تنفض عنها النوم، وكانت قد نامت من الإرهاق على الأريكة.

عادل: سلام عليكم، إيه اللي مصحيكِ لحد دلوقتي يا فريدة؟

فريدة بابتسامة: نمت وانا قاعدة مستناك.

عادل: طب وما دخلتيش جوَّا ليه بس، يلا ادخلي نامي.

فريدة ما زالت مبتسمة: طب أحضر لك العشا أنا ما أكلتش مع الأولاد قلت اتعشى معاك.

عادل يطبع قبلة على جبينها: مش قلت لك قبل كدا تاكلي وما تستنيش، أنا أكلت برَّا في الشغل، كل اللي عايزه سرير وبس، تعبان قوي.

غابت الابتسامة عن وجهها، وهي تراقبه يدخل غرفته تاركًا إياها تشعر بفراغ في قلبها، وبرودة ليست في أطرافها؛ ولكن في أعماقها، أبت أن يسيل دمعها؟! في الحقيقة لم تجد دمعًا، أرادت أن تبكي ولكن يا للغرابة لم تستطع! دخلت وراءه وجدته بدل ملابسه ونام في سبات،

أطفأت الأنوار ووضعت جنبها على فراشها ودخلت في عالم الأحلام، العالم الذي تجد فيه السلوى والأمان والدفء المُفتَقَد في العالم الحقيقي، عند تلك النقطة بكت، بكت في صمت، بكت في ألم، ليس منه أو له؛ بل مما وصلت إليه، فهاهي تنتظر أحلامًا تدعمها، ترفع من معنوياتها، تريحها من عالمها القاسي، من أقرب ناسها إلى قلبها، ها هي تظل تربت على يدها بيدها الأخرى كالبلهاء، وهو لا يدري كم المعاناة التي تمر بها، ها هي تحدث نفسها وأحيانًا بصوت عال، ماذا بك يا فريدة أنت قوية، أنت جميلة، أنت تستطيعين المواصلة، ألهذا الحد وصلت يا فريدة؟! كيف وصلت إلى هنا؟!!

ولم تجد جوابًا، أبدًا لم تجد.

* * *

غادة، غادة أنا عارف إنك مش نايمة، قومي بقى. قال أشرف وهو يحاول إيقاظ غادة التي لم تكن نائمة بالفعل.

غادة: لا نايمة.

أشرف مازحًا: لا صاحية، قومي بقى ما علش ما تزعليش.

غادة: وأزعل ليه؟ عادي هي عادتك ولا هتشتريها.

أشرف: ما خلاص بقى يا غدغودي، باقول لك إيه انتِ أكلتِ؟

غادة: لا طبعًا.

أشرف: طب يلا ناكل واوريكِ جبت لك إيه.

غادة قامت فرحة كالأطفال: إيه جبت لي إيه؟

أشرف: بصي العباية دي، لقيتها قدامي شفتك فيها، إيه رأيك؟

كانت العباءة جميلة بألوانها الفاتحة ونقوشها البسيطة، فرحت بالفعل.

احتضنها أشرف وهو يقبل محياها، وهي تذوب بين يديه فهي تحبه بل تعشقه وهو يعلم ذلك، ويكفي أنه تذكرها وجاء يراضيها هكذا قالت لنفسها.

في اليوم التالي استيقظت غادة مبكرًا، حضرت أدهم للمدرسة ولم يكن لديها جلسات علاج للوجين؛ فقررت الراحة قليلًا اليوم في المنزل، أخبرها أشرف أنه سيذهب إلى العمل متأخرًا اليوم، أحبت أن تستغل الفرصة فذهبت بجانب زوجها ونامت بين أحضانه مبتسمة وخططت في نفسها لعمل إفطار مميز لليوم، يهدئ ما بينهما من مشاحنات، استيقظت من نومها على رنين جرس الباب.

خير يا رب مين اللي هييجي دلوقت؟

وضعت روبًا منزليًّا على ملابس نومها وحجابها على رأسها ذهبت لتفتح الباب: طيب طيب حاضر الصبر.

فتحت الباب لتفاجأ بأم زوجها أمامها.

طنط سميرة؟ حضرتك كويسة فيه حاجة؟

حماتها: ما فيش، فيه إيه يعني؟ هو حرام آجي لابني ولا إيه يا غادة؟

غادة: لا يا طنط ما اقصدش والله، بس عشان الوقت بدري فباطمن على حضرتك.

حماتها: لا قلبك حنين، فيكِ الخير، فين أشرف نزل الشغل؟

غادة وهي تتنهد محاولة منها للصبر: أشرف نايم يا طنط ما عندوش شغل بدري النهار دا.

حماتها بتأفف: طب صحيه يلا أفطر معاه كفاية نوم.

ثم نظرت لملابس نومها، ولا ناموسيته كحلي؟

أحرجت غادة وهمت لتعترض على إيقاظها لزوجها ثم علمت أنه لا فائدة:

حاضر يا طنط.

أشرف أشرف.

إيه يا غادة فيه إيه؟ مش قلت لك ما تصحنيش ما عنديش حاجة بدري؟

غادة: عارفة يا حبيبي بس ما علش مامتك برَّا.

انتفض مذعورًا: ماما؟؟ ليه ما لها؟ هي كويسة؟ حد من اخواتي جرى له حاجة؟

غادة: اهدا يا أشرف ما فيش حاجة يا حبيبي، ماما جاية تفطر معاك بس ومصممة تصحى دلوقتي.

زفر أشرف ارتياحًا: حاضر هاقوم، هاخد دش بس.

أخذ حمامه ثم خرج لوالدته.

ماما حبيبتي عاملة إيه؟ منورة والله.

سميرة والدته: يا سلام! ولما أنا وحشتك ما جيتش ليه بقى لك يومين؟

أشرف: يا أمي يا حبيبتي ما أنا مطمن عليكِ وكنت جاي لكم النهار دا والله، وبعدين عرفت إن غادة جات لك امبارح وطمنتني عليكِ.

والدته: هي لحقت تقول لك إنها جات! وقالت لك إيه إن شاء الله؟ إنها روقت لي وطبخت لي وهدت لي الدنيا صح مش كدا؟

أشرف مرتبكًا: لا يا أمي ما قالتش حاجة والله؛ قالت إنها جابت لحضرتك حاجات من السوق وبس.

والدته على غير اقتناع: طب خش يا اخويا نشف راسك كويس من الحما وارحم نفسك وصحتك شوية.

تلون وجه أشرف من حديث والدته وقام دون رد ذاهبًا إلى غرفته.

كانت غادة أخذت حمامها وارتدت الجلباب الذي اشتراه لها أشرف البارحة ومشطت شعرها وخرجت لتحضير الإفطار.

حماتها: إيه يا غادة هنفطر النهار دا ولا بكرة؟

غادة: حاضر يا طنط راحة أحضره أهو.

سمعت غادة صوت ابنتها لوجين تنادي عليها مثلما اعتادت كل صباح.

حماتها: كلمي بنتك العبيطة صحيت أهي، كل العلاج والجلسات اللي بقالها سنين دي ولسَّا بتنده عليكِ ماما بالطريقة دي؟ حتى مش مفسراها قوي.

غادة آلمها قلبها لنعتها ابنتها بالبلهاء.

الحمد لله لوجين بقت تتحرك على بسيط كنا فين وبقينا فين، كله خير.

خرج أشرف من غرفته وهمت غادة بالذهاب لابنتها.

حلوة العباية دي، دي جديدة؟ قالت والدته وهي تحدثه.

أشرف: آه يا ماما عجبتك؟

والدته: قوي.

أشرف مبتسمًا: خلاص يا ست الكل النهار دا يكون عندك زيها.

والدته: لا أنا عجباني دي.

أشرف ارتبك: ما أنا هاجيب لحضرتك زيها بالظبط.

والدته: لا دي حلوة وشكلها مقاسي برضه هي واسعة على غادة.

أشرف: يعني عايزة دي يا أمي؟

والدته: آه عايزة دي.

أشرف ينظر لغادة ويبتلع ريقه: غادة ممكن تدي دي لماما وهاجيب لك واحدة تانية؟

غادة تحجرت الدموع في عينيها: لا يا أشرف انتَ جايب لي دي هدية انزل هات واحدة تانية.

نظرت حماتها لها في استنكار شديد.

نعم! يعني إيه؟ لا دا مال ابني، هو كنتِ جايباها من فلوس أبوكِ؟!

غادة تهدج صوتها: لو سمحت يا طنط ما لوش لازمة سيرة بابا.

أشرف: يا ماما.

قاطعته صارخة: ماما إيه ونيلة إيه مش عارف تحكم على مراتك! إيه المشكلة يعني لما تعجبني حاجة انتَ جايبها ها ولا انا مش زي الست الوالدة ولا ما اشبهش؟!

أشرف قام ليقف أمام غادة وبهدوء: من فضلك يا غادة ادخلي اقلعي العباية وهاتيها.

نظرت له غادة نظرة خاوية ودخلت غرفتها تحت نظرات حماتها وابتسامتها المنتصرة.

جلست على فراشها تنهمر منها الدموع الغزيرة دون صوت، كم تحملت من والدة زوجها ومنه لأجل أهله ولم يصن ذلك، خلعت

العباءة فقد كانت مثل النار على جسدها، أحبتها البارحة وطارت بها من سعادتها، ليس لغلو ثمنها؛ بل لأنها منه هو، من حبيبها، اليوم تود لو أحرقتها، لو قطعتها وألقت بها من النافذة.

دخل أشرف عليها، هاله دموعها ولم يحرك ساكنًا لم يستطع أن يقل شيئًا أخذ الحقيبةة بالعباءة.

أشرف: غا...

قاطعته غادة بإشارة من يدها أسكتته فورًا.

سمعت حديثه مع والدته التي أخبرته أنها ستذهب لتفطر مع أخته فهي هنا فقدت شهيتها ولن ترضى البقاء في منزل ليست مرغوبة فيه.

خرجت لترى ابنتها.

عاجبك كدا؟ أهي نزلت زعلانة. قال أشرف في غضب.

غادة: نعم؟ انتَ كمان هتيجي عليَّ بدل ما تقول لي ما علش؟

أشرف: فيها إيه يا غادة؟ هي صحيح لو مامتك اللي طلبت العباية كنتِ قلتِ كدا برضه؟

غادة: ماما عمرها ما تعمل كدا أبدًا أصلًا.

أشرف: قصدك إيه بقى؟

نظرت له غادة في قهر: ما قصديش، أنا داخلة أشوف بنتي.

وتركته وبعد قليل سمعت صوت باب الشقة يغلق بعنف، أخذت لوجين بين ذراعيها وظلت تبكي وتفوض أمرها لله.

❋ ❋ ❋

لا فائدة

منار، منار عايزة مساعدة؟

منار مبتسمة لأم زوجها: لا يا ماما خلاص قربت أخلص.

حماتها: طيب أنا مش متعودة على القعدة دي اديني أي حاجة أعملها.

منار: طيب اتفضلي ممكن تعملي السلطة.

ساعدتها للجلوس على طاولة المطبخ وأحضرت لها مكونات السلطة.

ماما كدا كفاية ولا أزود حاجة؟ قالت منار.

حماتها: لا يا منار تسلم إيدك ما اعرفش أحلام اتأخرت ليه كانت ساعدتك.

منار تضحك: يا ماما سيبيها دي عروسة لسَّا بقالها شهر خليها تدلع براحتها.

حماتها: الله يرضى عنك يا بنتي انتِ وهي في غلاوة واحدة والله، الله يهدي لك عيالك وجوزك.

منار: يا رب يا حاجة سهير يا رب.

حماتها تضحك: يا رب أبقى حاجة.

منار: بإذن الله هتروحي وتفرحي يا ماما.

جرس الباب قاطع حديثهما.

سهير حماتها: أكيد أحلام جت.

ذهبت منار تفتح الباب.

يا سلام يااختي لسَّا فاكرة! ولا نور خلاص لحس مخك؟!

أحلام تعانق منار وتضحك.

بس بقى يا منو ما تكسفينيش.

منار: بس بقى يا منو! أنا جاية من بدري يا هانم وخلصت تلات أربع الأكل.

أحلام: ربنا يخليكِ لينا يا ست الكل يا مرات أخويا يا عسل.

منار: ويبارك فيكِ يا عروسة يا حلوة ويرزقك الذرية الصالحة.

أحلام: ما خلاص بقى قدمت، هو أنا لسَّا عروسة؟

منار: يا ماما تعالي شوفي بنتك عشان ممكن أعمل فيها حاجة، هي قدمت أُمال أنا أتدفن؟

جاءت سهير التي كانت مستمعة لحديثهن: بعد الشر عليكِ مش انتِ لسَّا بتقولي لي أسيبها تدلع، آديني سِبتها، اشربي بقى.

أحلام: أمال فين عبد الله؟ لسَّا ما جاش من السوبر ماركت ولا إيه؟

منار: آه لسَّا الموظف اللي هيشرف عليه هيروح له كمان نص ساعة، هو كان قايل لي كدا.

أحلام: طب الحمد لله، يعني هيقدر يكون معاك ومع العيال أكتر أهو يا حبيبتي الله يصلح حالكم.

منار بسخرية: آه معانا!

ونظرت لحماتها التي عادت للمطبخ وقالت بصوت منخفض.

أمال يسيب اصحابه لمين؟ وتليفونه؟ ووو، الحمد لله على كل حال.

أحلام بحزن: برضه ما فيش فايدة؟؟

منار: ما فيييش كل محاولاتي راحت، ما فييش فايدة، اتكلمت بهدوء، وبغضب، وزعلت منه، وغضبت ونزلت بت عند ماما فـ مرة، وكلمته مرة بالدين، ومرة على حقوقي وحقوق ولاده، ولا هو هنا.

أحلام: أنا مش عارفة هما عاملين له عمل ولا إيه؟

منار: ولا أعرف، أنا اللي مزعلني يا أحلام إن الأولاد محتاجينه ومحتاجين إنهم يشوفوا أبوهم ويحسوا إنه بيربيهم معايا، مش مجرد بنك فلوس وبس.

أحلام: يا ريت الرجالة تفهم دا يا منار، والله إن الموضوع مش فلوس بس، اسكتي انتِ عارفة هدير بنت خالتي.

منار: آه عارفاها مش السمرة الجميلة دي.

أحلام: آه بالظبط، بقالها خمس سينين في عذاب، جوزها إلهي تتشل إيده ضرب وإهانة وأهو بقى معاها مهند ابنها وما فيش فايدة ما اتعدلش.

منار بغيظ: وهي ليه استحملت من أول مرة ضربها وازاي تسكت؟

أحلام: ما انتِ عارفة الكلام دا، كان غضبان، أصله ما يقصدش، أصله بكرة يتغير، أصلي أنا اللي نرفزته، ويوم ما قالت لأ أهلها الله يسامحهم رجعوها، ويا بنتي البيوت مليانة وبكرة ربنا يصلح حاله، والست هي اللي بتقوم البيت والراجل بيهد، واصبري وليكِ الجنة.

منار: آاه شغل تبريرات وخلاص، طب ما هي اللي شايلة الطين، وبعدين، هو ليه الناس شايفة الدين يطبق على الست بس، ما هو الحرام

على الست حرام على الراجل، وأحكام ربنا المفروض يمشي عليها الطرفين، ربنا ما بيظلمش حد، إحنا اللي بنظلم نفسنا.

أحلام: بالظبط، دا غير إنه يا ريت مهتم بالولد، أبدًا، تحسيه يا عيني بقى معقد من اللي بيشوفه ومن الإهمال.

منار: ما هم دول اللي بيدفعوا التمن حسبي الله، والله طول ما هي مش واخدة موقف كدا من قلة الدين والقيمة اللي شايفاها منه ما حدش هيعرف يساعدها، هي اللي لازم تقول لأ وتوقفه عند حده.

أحلام: ما هي خايفة من حاجات كتير قوي يا منار، أكبرها المصاريف اللي عاملة زي الفزاعة عند كتير من الستات، أول حاجة تتقال لها هيقطع عنك المصاريف والناس هتطمع فيكِ.

منار: حسبي الله، يعني المفروض تستحمل ضرب وإهانة عشان الناس والفلوس.

سهير من داخل المطبخ: ما يلا يا بنات اتصلوا بعبد الله، أنا جعت، وانتِ يا أحلام فين نور جوزك؟

أحلام: زمانه جاي يا ماما راح يجيب طبق حلويات.

منار: حاضر يا ماما هارن عليه أهو.

أحلام: هو فين معاذ مش باين؟ وهنا وحشتني قوي.

منار: ما تشوفيش وحش يا ستي، معاذ عند مهاب ابن الجيران بيلعب معاه، وهنا بتكتب الواجب جوًّا.

أحلام: حبيبة عمتو، هادخل لها واغير وآجي نكمل رغي.

اتصلت منار على زوجها أخبرها أنه في الطريق للمنزل.

* * *

أيوة لقيته الحمد لله.

صرخت غادة بفرح وحولها أكوام من الورق المبعثر.

أدهم: ما لك يا ماما بتصوتي ليه وإيه كل الورق دا؟

غادة مبتسمة: يا حبيبي كنت بادور على رقم مهم قوي والحمد لله لقيته.

أدهم: رقم حد من صحابك؟

غادة وهي تقبله: بالظبط، لؤي فين؟ مش سامعة حسه، شوفه ليكون بيعمل مصيبة.

أدهم: حاضر.

خرج أدهم من الغرفة وقامت غادة فورًا للهاتف.

جرس الحمد لله، حدثت غادة نفسها.

رد أحدهم: ألو.

غادة مرتبكة: ألو السلام عليكم.

الطرف الآخر: وعليكم السلام ورحمة الله مين معايا؟

غادة للصوت النسائي: معايا رشا ممدوح من فضلك؟

الصوت: لا حضرتك مدام رشا سابت الشقة من فترة.

غادة بحزن: طيب متشكرة آسفة على الإزعاج سلام عليكم.

الصوت: طب استني انتِ مين عايزاها ضروري؟

غادة وأملها ينتعش: آه أنا صاحبة أختها سارة وكان نفسي أعرف أوصل لها.

الصوت: أهلًا بحضرتك أنا أمل بنت خالتها، أنا اللي اشتريت منها الشقة، بصي هاديكِ رقمها اتصلي بيها.

غادة: شكرًا، شكرًا ليكِ بجد يا أمل ربنا يكرمك.

أمل: على إيه ولا يهمك معاكِ ورقة وقلم؟؟

غادة: ثانية واحدة.. اتفضلي قولي.

أمل: الرقم هو.

سجلت غادة الرقم وشكرت أمل مرة أخرى واتصلت فورًا بالرقم.

غادة: سلام عليكم، مدام رشا معايا؟؟

الطرف الآخر: أيوة مين حضرتك؟

غادة: أيوة يا مدام رشا أنا غادة صاحبة سارة من المدرسة، والله أنا اتصلت على التليفون الأرضي بتاع حضرتك القديم وأمل ادتني الرقم دا، بعد إذنك يعني لأن نفسي أعرف أوصل لسارة وأكلمها وأطمن عليها.

رشا: يا حبيبتي إزيك يا غادة، أنا فاكراكِ يا بنتي، حضرتك إيه ومدام إيه بس، فينك؟ يا الله على المفاجآت.

غادة: الله يكرمك يا رب، عاملين إيه وسارة فينها؟

رشا تتنهد: رشا مسافرة برَّا يا حبيبتي، بس جاية بعد أسبوعين كدا هتستقر هنا خلاص.

غادة: إيه دا هي كانت عايشة برَّا! هاجرت ولا إيه؟

رشا: حاجة زي كدا هي كانت قاعدة عشان شغل جوزها هاني، فتح مطعم في لندن فكان لازم تكون معاه.

غادة: طيب هي تليفونها ولا بتتواصلوا معاها سكايب، عندها أكونت على الفيس؟

رشا: آه عندها بصي هاديكِ اسم الحساب بتاع السكايب والفيس وابعتي لها.

سجلت غادة كل المعلومات التي حصلت عليها من رشا، وكانت سعيدة للغاية.

غادة، غادة صاح أشرف وهو يدخل الغرفة.

غادة: نعم؟؟

أشرف: إيه نعم دي؟؟

غادة: لا حول ولا قوة إلا بالله، بتنده لي باقول لك نعم يا أشرف، غلطت في إيه؟؟

أشرف يكتم غيظه: زي ما انتِ شايفة رجعت من الشغل وجعان.

غادة بلامبالاة: حاضر ثواني الغدا يكون جاهز.

وخرجت من الغرفة ولم تلتفت له حتى وهي تمر بجانبه.

خلع قميصه وألقى به في صمت غاضب.

* * *

يوم آخر يمر على فريدة وهي لا تزال في دوامة مسؤوليتها مع أطفالها، شعرت بألم في رأسها وهي تدرس مع ابنتيها التوأم، أخذت مسكنًا سريعًا وحضرت كوبًا من القهوة.

جنة: يا ماما أنا تعبت بقى.

فريدة: تعبتِ من إيه يا جنة انتِ لحقتِ؟ خلصي وبطلي دلع، أنا دماغي خلاص هتنفجر من الواجبات دي وانتو بتدلعوا.

حبيبة: ماما أنا المسألة دي مش فاهماها.

فريدة: ثواني وهاجي أشوفها لك.

ذهبت لغرفة شادي لتطمئن على مذاكرته.

شادي، خلصت الجزء اللي كنت بتذاكره؟؟

شادي: لا يا ماما لسَّا.

فريدة: يا سلام! هو انتَ ماسك التليفون لسَّا! مش قلنا دا وقت المذاكرة مش اللعب؟

شادي: يا ماما زهقت قلت ألعب شوية.

صاحت فريدة به: هات التليفون دا، امتحانات آخر السنة قربت ومش عايزة دلع انتَ فاهم؟

عائشة: إيه يا ماما ما لك؟

فريدة: تعبانة يا عائشة شوية وجنة وحبيبة وشادي تعبوني.

عائشة تربت على كتفها: ماما حضرتك النهار دا ما لك؟ حاساكِ مضايقة من حاجة.

فريدة تتنهد: كبرتِ يا عائشة وبقيتِ تلاحظي.

عائشة بحزن: أنا بالاحظ حاجات كتير يا ماما بس ما بارضاش اتكلم.

فريدة لتبتعد عن تلك المنطقة مع عائشة: باقول لك إيه، ممكن تكملي مع جنة وحبيبة واجب الحساب على ما أدخل أنشر الغسيل، تمام؟؟

عائشة: حاضر يا ست الحبايب.

قبلتها فريدة على جبينها وذهبت لحجتها التي اخترعتها سريعًا حتى لا ترى في عيون ابنتها كلمات لا تتحملها حاليًّا، فهي تعلم جيدًا أن عائشة تفهم الشقاق بينها وبين أبيها، بل شادي أيضًا بدأ يشعر بالنقص، بدأ يشعر بألم التفكك، ولكنها تفعل ما عليها جيدًا، تحاول بكل جهدها ألَّا تشعرهم بشيء، ولكن هيهات فالأطفال يكبرون بسرعة، ونظرة

الآباء التي دائمًا تراهم أطفالًا لا يفهمون شيئًا أثبتت فشلها في المجتمعات الأسرية.

أمسكت رأسها الذي آلمها أكثر من ذي قبل، ماذا أفعل يا ربي تعبت وأرهقت من التحمل، أنا أستطيع التحامل على نفسي، التغاضي عن حقوقي، ولكن هم ما ذنبهم؟

جلست قليلًا في غرفتها تهدئ من غضبها، وتوضأت ثم خرجت لتواصل عملها.

* * *

قصت غادة على أسماء ما حدث مع رشا أخت سارة في محادثة على موقع (الفيس بوك).

أسماء: الله عليك يا غدغود يا جامد، عاتي بوسة.

غادة: هههههههه خدي، المهم عايزين نكلمها بقى، بس أنا بحثت عنها في السكايب ما عرفتش أوصل لها، خدي الحساب وجربي كدا، ماشي؟

أسماء: هاتي يا فاشلة.

غادة: احترمي فرق السن اللي بينْنَا يا أزمااء.

أسماء: فرق إيه دا؟ الحاجة الحلوة في صحوبيتنا دي إننا إحنا الخمسة سن واحد، 36 عاااااااااا، عجزنا قوي!

غادة: سوسو حبيبتي خدي الآكونت وروحي دوري بدل ما اعمل لك بلوك، بتفكريني ليه، أنا عن نفسي لسَّا 26 ما ليش دعوة بيكو.

أسماء: هههههههه طب هاتي يا صغننة، يلا بسرعة عشان شكل عبد الله جه وهاقوم أحضر السفرة مع أحلام... أهو جه، يلا سلام دلوقتي يا حبي.

أسماء: سلام حبيبتي.

تجمعت العائلة على طاولة الطعام، سهير والدة عبد الله، أحلام وزوجها نور الدين، منار وأولادها وزوجها.

منار بصوت منخفض: يا عبد الله سيب الفون دا.

عبد الله: حاضر، وآدي الموبايل، منور والله يا نور عامل إيه في شغلك؟

نور الدين: الحمد لله، الله يعينْنَا.

عبد الله: وانتِ يا أحلام عاملة إيه مع ظروف الدكتور ومواعيد شغله دي.

أحلام تضحك: الحمد لله يا عبد الله، أهو باحاول آخد على الموضوع، هو عارف لو قصر هيجرى له إيه.

منار تضحك: آه خد بالك بقى يا نور لاحسن الموضوع هيبقى فيه جريمة.

عبد الله: انتِ هتقولي لي، دا انتِ بتموتي في النكد.

خجلت منار كثيرًا وصمتت ووجهها تلون من الغضب.

شعرت سهير حماتها بالأمر فحاولت أن تخفف عنها.

منار؟؟؟ دي منار آية، الله يخليها لنا، دي بنتي التانية.

منار تبتسم بود: الله يبارك لنا في عمرك يا ماما.

أحلام لتغير الموضوع: السوبر ماركت عامل إيه يا عبده؟؟ شغال الحمد لله؟

عبد الله: آه الحمد لله، الموضوع بس كان محتاج صبر وإن الناس تعرف إنه مكان كويس يتسوقوا منه.

سهير: الحمد لله يا ابني إن ربنا كرمك، أنا كنت حاطة إيدي على قلبي ليخسر لا قدر الله، وانتَ حاطط فيه فلوسك كلها.

عبد الله: الحمد لله.

منار: هاقوم أعمل شاي، حد عايز معايا غير ماما؟؟

أحلام: آه حبيبتي.

نور الدين: أنا عايز قهوة يا أم هنا من فضلك.

منار: حاضر من عينيَّ.

عبد الله: وأنا قهوة معاه.

ذهبت منار لتحضير المشروبات، ولحقت بها أحلام وهي ترفع أطباق الطعام.

أحلام: إيه منوشة قمتِ من غير ما تكملي أكلك ليه؟

منار مبتسمة: لا حبيبتي كلت والله الحمد لله.

أحلام: طب عشان خاطري ما تاخديش على خاطرك من عبده انتِ عارفاه بيدب الكلام دب كدا بس طيب وبيحبك قوي.

منار: نفسي أفهم هو الحب كلام يا أحلام؟؟ ولا فعل.

أحلام: كلام وفعل، بس فيه رجالة زي أخويا كدا ما بتعرفش تظهر دا، بس والله بيموت فيكِ، شوفي لما بتزعلي منه بيبقى هيتجنن.

منار: يا أحلام ما هو لازم أزعل وأغضب، وممكن أسيب البيت كمان عشان يفوق، شهر ولا أكتر ويرجع زي ما هو، أنا تعبت والله،

عايشة لوحدي وباربي عيالي لوحدي وباروح وباجي لوحدي، مع إنه ممكن جدًّا يقدر يفضي نفسه، أي حد من الولاد يتعب أنا أروح وآجي وأتابع، مذاكرة البنت أنا اللي متابعة، شؤون البيت قليل جدًّا لما يلتفت ليها، هو الجواز مشاركة ولا الواحد بيتجوز عشان يعيش لوحده؟ تعبت والله تعبت.

أحلام: مش عارفة أقول لك إيه؟

منار: ما تقوليش حاجة، قولي ربنا يخلي له صحابه ويقدره على الوقوف جنبهم كمان وكمان.

أحلام همت بقول شيء لولا دخول والدتها.

إيه يا بنات ما لكم فيه حاجة؟؟

منار مبتسمة: لا يا ماما بعد إذنكم هاجيب بقية الأطباق، شغلي على مية للشاي يا أحلام.

سهير: أنا عارفة أخوكِ دا مش هيجيبها لبر.

أحلام: بصراحة قلبي واجعني عليها يا ماما، مش هيحس بقيمة بيته إلا لما يروح منه.

سهير: بعد الشر يا أحلام ليه بس كدا.

أحلام: ما هو يا ماما آخرة قلة الاهتمام خراب، والواحدة مننا محتاجة اهتمام بمشاعرها وسند لضهرها وطبطبة على كتفها عشان تقدر تواصل مع الدنيا وتقدر تدي الراجل وعياله اللي محتاجينه، وطول ما هو شايفها واقفة وبتعمل اللي عليها من غير كلل ولا تعب، وطول ما هو حاطط في باله إنها بتاكل وبتشرب وبتنام وإن دا اللي بس محتاجاه يبقى الفجوة هتزيد يوم عن يوم.

سهير رافعة حاجبها في اندهاش: كل الحكمة دي من شهر جواز يا أحلام؟!

أحلام: لا يا ماما دا من اللي باسمعه وباشوفه من المتجوزين حواليَّ، الوضع صعب والله والرجالة بقت فاكرة نفسها عزاب وبيتعاملوا على الأساس دا، إلا من رحم.

تدخل منار: يا بنتي فين الكاتل اللي شغلتيه؟ اوعي انتِ مش نافعة، أنا هاعمل واعلق على القهوة.

سهير مازحة: مش قلت لك من بدري بنتي دي مش نافعة.

أحلام: ماشي ماشي شكرًا جدًّا، أنا بقى خارجة ألم بقية السفرة أحسن.

سهير تربت على كتف منار بحنان: ربنا يراضيك يا حبيبتي دايمًا.

ابتسمت منار لحماتها في صمت وبداخلها نار تؤلمها وتحرق قلبها، وسؤال يلح، إلى متى سوف تتحملين يا منار؟

❋ ❋ ❋

عودة سارة

ما بدري يا ابني، قالت سهير والدة عبد الله لزوج ابنتها.

نور الدين: بدري من عمرك يا ماما، لازم أروح المستشفى دلوقتي والله.

أحلام: ما علش يا ماما تتعوض بإذن الله، وبعدين يا ست الكل جينا وقعدنا واتغدينا كل دا وبدري؟

سهير: آه ما انتِ مش حاسة بالوحدة اللي بقيت فيها.

أحلام تحتضن أمها: يا حبيبتي وحدة ليه بس؟ كلنا حواليك أهو ربنا يبارك لنا فيك.

عبد الله: يا حبيبتي ما انا باتحايل عليكِ تيجي تعيشي معانا.

منار: آه والله يا ماما يا ريت.

سهير: لا يا اخويا بيت أبوك الله يرحمه لازم يفضل مفتوح.

ردد الجميع، الله يرحمه.

نور الدين: يلا يا أحلام عشان أروحك قبل ما أروح على شغلي.

أحلام: طب ما تتفضل انت يا حبيبي وأنا آخد تاكسي.

نور الدين: لا طبعًا ما ينفعش، يلا بينا، عارفة لو ما كنتش هاجي بدري كنت سِبتك تباتي.

سهير تضحك: لا يا حبيبي يلا خد عروستك وروح، انتو لسَّا عرسان وانا مش عايزة حد يبات معايا هنا.

أحلام عابسة: أهو شفت، آدينا اتطردنا.

نور الدين: برضه على قلبي زي العسل.

أحلام: بقى كدا؟؟؟ يلا يا ست سهير اتبسطي بقى.

منار: حقها يا لولو.

هنا: يا ماما عايزة أنام.

منار تربت على رأس ابنتها: حاضر يا حبيبتي هنروح أهو خلاص.

سهير: يا حبيبتي يا هنو لولا المدرسة كنت نيمتك في حضني يا قلبي.

منار: لا وهي كدا كتر خيرها ميعاد نومها عدى ومعاذ رايح من ساعة.

رن هاتف عبد الله، ذهب للشرفة ليرد.

ودعت سهير ومنار أحلام ونور الدين واستأذنت سهير تصلي العشاء لحين انتهاء عبد الله من مكالمته.

عبد الله انتهى: منار بلال تعبان قوي ولازم أروح له.

منار بهدوء: ما له؟

عبد الله: ما اعرفش باينه برد بس شديد شوية مرقده في السرير مش قادر حتى يجيب لنفسه بق مية.

منار بنفس الهدوء: وفين أخته، مش قلت ليه أخت؟

عبدالله: آه بس دي في بيتها وكبيرة يعني مش هتيجي جري يعني عشان تعبان.

منار: طب ما طلبش دكتور ليه بدل ما يطلبك.

عبد الله: ما بيحبش الدكاترة، وما بيحبش حد غريب يعمل له أكل، هاروح أعمل له شوية شوربة حتى وادي له علاج وابقى آجي لكم.

منار ترفع حاجبًا: هو أنا هاستنى لما تروح تعمل كل دا؟؟ مش هينفع، هنا عندها مدرسة الصبح ولازم نروح، وكمان ماما تعبانة ولازم أشوفها.

عبد الله بامتعاض: طيب أنا أعمل إيه دلوقتي؟ الراجل تعبان قوي.

منار مبتسمة: ما تعملش حاجة أنا هاخد ولادي وهاروَّح وانتَ روح له.

عبد الله بفرحة: طيب كويس الحل دا، يلا سلام.

منار بنفس الهدوء: خد الجاكيت بتاعك من جوَّا.

عبد الله: آه صح.

خرج عبد الله وظلت منار مكانها لم تتحرك لم تكن تدري بماذا تفكر فهي تقف مثل تمثال من الرخام في ميدان قديم بال.

منار. نادت سهير وهي تخرج من غرفتها بعد الصلاة.

منار تلتفت في هدوء: نعم يا ماما.

سهير: ما لك واقفة كدا ليه؟ وفين عبد الله.

منار: جا له تليفون واضطر ينزل.

سهير: الله! مش قلتِ هتروحوا؟

منار: ما انا هاروح.

سهير: إزاي يا بنتي بعيالك والدنيا ليلت.

منار: هاتصل بتاكس خاص ييجي يوصلني يا ماما.

سهير: لا حول ولا قوة إلا بالله، ما علش يا منار.

منار مبتسمة بنفس الهدوء: ولا يهمك يا ماما بعد إذنك.

طوال الطريق ومنار في عالم آخر، من يرى وجهها لا يجد أثرًا لأي انزعاج أو غضب، ولكن من يطلع على قلبها يجد بركانًا لم يخمد منذ سنوات، حممه تحرق كل نبضة فيه، ساخن، مؤلم، ساخط.

وصلت بيتها، وضعت أطفالها في فراشهم، ولم تدق باب أمها حتى لا تراها بهذا الشكل، فالأم تعلم ما بابنتها حتى وإن أخفت حزنها عن الجميع، آثرت أن تحدثها على الهاتف تطمئن عليها وتطمئنها عليها ووعدتها بالإفطار معها صباحًا.

فتحت حاسوبها لتبحث عن سارة صديقتها لتشغل نفسها حتى لا تفكر في عبد الله أو ضرتها بلال، ابتسمت عند هذه الفكرة، نعم فضرتها رجل تغار منه وتكرهه مثل أي أنثى تجد نفسها شريكة في زوجها مع أنثى أخرى.

أدخلت اسم الحساب الذي أعطته لها غادة وبدأت البحث، من توترها مرة نسيت حرفًا ومرة نسيت رقمًا، فيأتي البحث خاطئًا، أخيرًا ذهبت وأحضرت كوبًا من القهوة السريعة (النسكافيه) حتى تهدئ

أعصابها، وبحثت مرة أخرى، وجدت أخيرًا حسابًا باسمها، سارة ممدوح، على الفور أرسلت رسالة.

سلام عليكم معايا سارة ممدوح؟؟ أنا منار عباس يا سارة فاكراني؟؟ شلة القنبلة، مدرسة البنات، منار وفريدة وغادة وأسماء؟؟ لو انتِ سارة بتاعتنا يا ريت تردي عليَّ، نفسنا نلاقيكِ قوي، سلام عليكم.

وتصفحت قليلًا في الفيس بوك حتى أتاها الرد على موقع السكايب.

- ؟؟؟؟؟؟؟؟؟!

كانت تلك الرسالة التى أرسلت من الحساب نفسه.

منار: آسفة جدًّا شكلي غلطت في الأكونت.

الرد: عاااااااااااااااااااااااااا منار عباس! يا خبرأبيض هههههههههه.

منار: يا بنت الإيه يا سارة، دا انا قلت مش انتِ، واحشاااني.

سارة: حبيبتي والله والله، رسالتك جات في ميعادها.

منار: يا بنتي أنا إيه؟ طول عمري بافهم.

سارة: لا قولي لي انتو لسَّا مع بعض؟ شلة القنبلة أقصد.

منار: هههههههه كنت أنا وغادة وأسماء على اتصال، ولو كان من فترة لفترة بس أهو عارفين أخبار بعض، لسَّا بقى من يومين ولا حاجة مقابلة فريدة محمود وجه في بالنا ندور عليكِ.

سارة: ولقيتوني ازاي؟

منار: هي رشا ما بعتتلكيش؟

سارة: لا تلاقي النت عندها فاصل ولا حاجة.

قصت عليها منار قصة محاولة الوصول إليها.

سارة: طول عمركم عفاريت.

منار: انتِ هتقري؟! قوليلي بقى فعلًا قربتِ ترجعي مصر؟

سارة: آه ☹.

منار: وليه الوش الحزين دا؟ آه أنا عارفة إن مافيش مقارنة بين مصر ولندن؛ بس باسمع إن اللي برَّا بيبقى نفسه يرجع قوي.

سارة: بالظبط يا منار، بس مش حكاية لندن ومصر اللي تاعباني، لما انزل وأفوق كدا هاحكي لكم كل حاجة.

منار: طب باقول لك إيه، عندك فيس؟

سارة: أمال يعني ماشية عريانة.

منار: ها ها ها خفيفة قوي.

سارة: هههههههههههههه آه عندي اسمك إيه ولا ابعتي اللينك.

منار: حاضر استني.

سارة: كلكم عندكم فيس.

منار: كنت أنا وأسماء بس، وعملنا لغادة واحد غصب، فاضل فريدة.

سارة: طب إيه بقى عايزين نتجمع على شات.

منار: لا تقلقي، سيبي لي أنا الموضوع دا، هاعمل أكونت لفريدة ونعمل شات للقنبلة نيهاااهاااااااا.

سارة: هههههههه شريرة طول عمرك يا منو.

منار: ميرسي كتير.

سارة: يخرب بيت عقلك ما اتغيرتيش كتير!

منار: لا اتغيرت كتير يا سارة، كلنا تقريبًا اتغيرنا، ما توريني صورتك يا بت.

سارة: جوزي موجود في البيت، بكرة بإذن الله أفتح لك كاميرا، قولي لي، أخبارك؟ عندك أولاد؟ بتشتغلي؟ احكي احكي.

منار: آه ياستي عندي اللهم بارك هنا في 3 ابتدائي ومعاذ تلات سنين، وانتِ؟؟

سارة: آه الحمد لله عندي أوركيد قربت على التمنتاشر سنة.

منار: اللهم بارك يا سارة عندك عروسة، إيه دا؟ انتِ حملتِ فيها أول ما اتجوزتِ! إيه اللي حصل فجأة يا سارة خلاكِ تبعدي عننا فجأة.

سارة: منااااااااااااااار بالله عليكِ أجلي كل عتاب لما أنزل مصر وأشوفكم واخدكم في حضني، قولي لي عمو عباس وطنط منال عاملين إيه؟

منار: عمك عباس البقاء لله من خمس سينين.

سارة: يا حبيبتي البقاء له الله يرحمه، آسفة يا قلبي.

منار: على إيه؟ الحمد لله، لكل أجل كتاب، وماما ساكنة معايا في شقة أول دور في عمارتي، وانتِ بابا وماما أخبارهم إيه؟

سارة: ماما الله يشفيها جا لها جلطة من كذا سنة خلتها على كرسي متحرك على طول، الحمد لله، وبابا كبر قوي يا منار، الله يبارك في عمره وأهم قاعدين يونسوا بعض.

منار: طب مين اللي بيقوم على خدمتهم؟؟

سارة: جليسة خاصة لماما وواحدة بتيجي تنضف البيت وتعمل أكل كل يوم، وأختي رشا برضه بتروح لهم على طول، بس علي وباسل ما شاء الله أولادها كبروا وفي جامعة دلوقتي فوقتها برضه محكوم.

منار: مش كان ليكِ أخ باين يا بنتي.

سارة: آه فؤاد، اتجوز وخلف تلات بنات وقاعد في دبي شغله هناك وحياته كلها.

منار: يا الله، الدنيا شغلت كل الناس! الحمد لله.

سارة: آه هنقول إيه ما هي دنيا يا منو، باقول لك إيه، لازم أقفل دلوقتي، بس كدا خلاص يا معلم كل يوم لينا حكاوي وكلام.

منار: هههههههه طبعًا حبيبتي، بس بإذن الله نعمل الشات الجماعي دا ونعيش بقى.

سارة: بإذن الله، يلا سلام حبي.

منار: في حفظ الله يا ساسو.

أغلقت منار الحاسوب وهي تكاد تطير من الفرح، واندهشت كثيرًا لتلك السعادة الطاغية، هل لأنها وجدت من يسمعها ويشعر بها، أم لأنها فعلًا اشتاقت لأيام ذهبت ولن تعود؟ نظرت للساعة نظرة بائسة فها هي قاربت الواحدة بعد منتصف الليل، ولم يعد عبد الله، تنهدت وذهبت إلى فراشها وحاولت أن تذهب في نوم عميق، لعالم تكون فيه وحدها بلا هموم أو تفكير، عالم الأحلام.

* * *

جاء الصباح على غادة ككل يوم، لا يتغير فيه شيء، حضرت أدهم للمدرسة، ولؤي للروضة، ولوجين حبيبة قلبها الصغيرة لجلسة هذا الصباح.

كذلك كتبت ورقة بما سوف تحتاجه من السوق لعزومة غداء، فكما أخبرها أشرف منى وأميرة أخواته آتيتان للغداء معهم، لوت فمها في سخرية فهي تعلم جيدًا كيف سيكون اليوم، فالبنات لأمهن، لسان سليط وقلب جاف، ولكنها قد قررت أن تفعل ما يريد زوجها وتعيش لأطفالها فقط حتى تستطيع المواصلة، فأولادها في احتياجها كثيرًا، صلت ودعت الله عز وجل بالكثير والكثير، فهو قادر أن يبدل حال ابنتها ويشفيها، وقادر على تغيير حياتها مع زوجها، فأشرف كما تعترف دائمًا هي ليس سيئًا؛ ولكن سيطرة أمه وأخواته عليه كبيرة ومؤلمة، حملت الصغيرة ووضعتها على كرسيها المتحرك وذهبت للمصعد وقبل أن تذهب نظرت إلى زوجها النائم كالطفل وهي ذاهبة ليوم آخر يحمل من المشقة لها الكثير، فوضت أمرها إلى الله ونزلت وهي تستغفر الله كثيرًا.

* * *

أيقظت أسماء محمد زوجها للإفطار قبل الذهاب إلى عمله ككل يوم.

أسماء: هتشرب إيه يا محمد عصير ولا قهوة؟

محمد وهو يمسك بهاتفه: ها؟ قهوة عايز أصحصح.

أسماء: ما هو لو تنام بدري عشان شغلك وتسيب الموبايل وتحليلات الماتشات كنت صحيت فايق.

محمد: يا فتاح يا عليم، سماسيمو حبيبتي، مش وقته الله يبارك لك قولي صباح الخير.

أسماء: صباح الخير.

محمد: صباح الفل، الفطار بقى.

أتت ببقية الأطباق وجلست معه على طاولة الطعام وهو يضع رأسه في هاتفه النقال ويضع لقيمات في فمه على عجالة، انتهى، قام وقبل رأسها ليمسك بحقيبة عمله.

أسماء: محمد، من فضلك كنت عايزة أحجز ميعاد للدكتور النهار دا.

محمد: ما لك؟؟

أسماء: متابعة دكتور النسا يا محمد، انتَ نسيت؟ مش انا باتعالج عشان أحمل تاني.

محمد بتأفف: مش عارف، أمال لو كنتِ ما خلفتيش مالك كنتِ عملتِ إيه بس! أسماء حبيبتي النهار دا عندي ميعاد بعد الغدا.

أسماء: ميعاد إيه دا اللي أهم مني ومن إني ما ينفعش أروح للدكتور لوحدي؟

محمد: عيسى عازمني نتفرج على ماتش ال...

قاطعته أسماء صارخة فيه: نعم؟؟ انت أكيد بتهرج، يعني بتأجل الدكتور عشان ماتش، إيه يا محمد؟!! لا كدا كتير!

محمد صارخًا هو الآخر: إيه يا هانم! ما تيجي تاخديني قلمين، وطي صوتك دا، انتِ اتجننتِ؟

أسماء تبكي: فعلًا اتجننت، اتجننت لما باطلب حقي في المرواح لدكتور مع جوزي صح؟ اللي أنا مسؤولة منه.

محمد: أسمااااء اصطبحي وقولي يا صبح، هو انتِ ليكِ مزاج تتخانقي؟ أنا اتأخرت ولو على الدكتور خدي أختك آيات معاكِ.

أسماء: هو أنا متجوزة آيات؟؟

محمد: شفتِ بقى إنك مش ناوية تجيبيها لبر.

أسماء: لاااا بقى، لازم خالتو وعمو يشوفوا لي حل، مش نافع كدا.

محمد يمسكها من ذراعيها بشدة آلمتها: هو إيه اللي مش نافع؟

أنقذها صوت مالك ابنها الذي أيقظه صوت صراخهما.

ترك ذراعها بشدة: روحي شوفي ابنك.

وخرج وأغلق الباب بقوة أوقعت لوحة معلقة عليه لتتحطم إلى أشلاء مثل قلبها تمامًا.

* * *

في نفس الوقت عند صديقة أخرى.

سمعت منار التى لم تكن نائمة بالطبع صوت باب الشقة يفتح ثم صوت أقدام زوجها داخل غرفتهما، ولكن لم تحرك ساكنًا، فضلت أن تلعب دور النائمة بمهارة، فهي لا تريد نقاشًا أو مشاجرة أو حتى حديثًا عاديًا.

بدل عبد الله ملابسه ووضع جنبه بجانبها في السرير وما هي إلا دقائق وسمعت صوت أنفاسه الهادئة المنتظمة دليلًا على النوم العميق.

بكت في صمت، هو حتى لم يتصل بها ليسأل عن سلامة وصولها من منزل والدته، حتى لم يطبع على رأسها قبلة تطمئنها وتقل لها أنا هنا الآن، لم يذهب للاطمئنان على أولاده ليدثرهم بالغطاء حتى وإن كانوا نائمين

في دفء عظيم، فدفؤه نوع آخر من الحنان والاطمئنان والأمان، فقط قبلة على جبين هنا أو معاذ كفيلة بإدخال الأحلام الجميلة عنوة داخل رأسهم الجميل، وكفيلة بطرد أي شياطين تحاول العبث بأحلامهم الصغيرة، كفيلة بشروق شمسهم في ليلهم الحالك السواد، كفيلة بنثر الورود وبراعمها الفواحة في صحرائهم الجرداء.

بكت وبكت وبكت وتلمست على كتفها بيديها طالبة الأمان والدفء، بكت وبكت وابتسمت لنفسها في الظلام طالبة العون، بكت ثم مسحت دموعها وتنهدت بعبير عطرها، وطمأنت نفسها (لا تخافي يا منار سوف يمر كل ألم، سوف يندمل كل جرح، الله رحيم، الله معك).

استغفرت ونامت، من الإرهاق، من الحزن، من أي شيء، لم تسأل ولم تمانع، فقط رحبت بالنوم علها تهدأ.

* * *

أيوة يا ماما، لأ تعالي لي حالًا، لما تيجي هاقول لك، آه اتخانقنا وأنا تعبت يا ماما والله تعبت بقى، ما اعرفش هييجي إمتى، بيقول فيه ماتش هيتفرج عليه مع صاحبه، آه هاتي خالتو معاكِ، مش هو وحيدها اللي

دايمًا تقول لي ما تزعليهوش، طيب وزعلي أنا عادي عندها، خلاص آسفة يا ماما بس بالله عليكِ تعالي بقى، طيب هاستناكِ سلام.

أغلقت أسماء الهاتف وذهبت إلى مالك ابنها تطعمه وهي تنتظر والدتها وخالتها التي هي أم زوجها أيضًا.

رددت: يااااا رب، يااااا رب.

❋ ❋ ❋

الزيارة

أما أما، أهممم، أهمممم، أممما، نادت لوجين بصوتها الضعيف الصغير على أمها وعلى أدهم أخيها.

نادى أدهم على غادة حتى ترى أخته.

غادة: حبيبتي لوجي أيوة يا قلبي، تشربي؟

لوجين: آه.

أتت غادة بالماء وروت ظمأ صغيرتها وقبلتها واحتضنتها بين ذراعيها طويلًا ثم تركتها مع أخيها وذهبت لتكمل أعمالها في المطبخ.

بعد قليل سمعت أشرف زوجها يلعب مع لؤي ثم ذهب يداعب لوجين ويحدث أدهم عن مدرسته، سعدت كثيرًا ودعت الله أن يمر هذا اليوم على خير.

* * *

دقت منار جرس باب والدتها، فتح أخوها أيمن مبتسمًا لها.

أيمن: صباح الأنوار.

منار: صباح الفل حبيبي، عامل إيه.

أيمن: الحمد لله بخير يا منو عاملة إيه هنونتي؟ ميزو حبيب خالو، تعالى يا بطل.

هنا: إزي حضرتك يا خالو وحشتني قوي.

أيمن: طيب مش بتنزلي ليه يا ست هنا تشوفيني؟

منار: يا سلام! وانتَ مش المفروض تطلع يا اخويا تطمن علينا؟ انتَ عارف أيام المدرسة وقتها صعب ويا دوب على ما نخلص اللي ورانا يكون ميعاد النوم جه، ولما بانزل لاما بتكون في شغلك.

أيمن: إيه انتِ ما صدقتِ ولا إييه! خلاص يا حاجة.

معاذ: خالو بيبي.

أيمن: وانتَ يا ميزو حبيبي.

منار: أمال فين ماما؟ ورحمة لسَّا ما جاتش؟

أيمن: جوَّا بتصلي الضحى، رحمة على ما تصحى هي وأستاذ علاء من النوم تكون الجمعة خلصت وجه الحد، يا منال يا منالللللللال.

منار تضحك: بس بس دا انتَ مشكلة.

منال والدة منار: بس يا واد انتَ بطل إزعاج.

أيمن: واد؟؟

منال: آه واد، فيه اعتراض؟

منار: خلاص يا ماما عديها المرة دي.

منال: ماشي يا قلب ماما هتنزل المرة دي.

أيمن: يا نهاااار! أمك بتإلش يا منار.

منار تصفق بحركة طفولية: أيوة مامي روشة.

منال: تصدقوا انتو الاتنين قللات الأدب.

أيمن: ليه بس يا مامي؟

منار: يلا يا ابني انتَ روح يلا هات لنا فطار ملوكي كدا على ما اتصل بأختك أشوفها فين؟

منال: آه يلا وما تنساش العيش.

أيمن: حاضر يا ست الكل، هاخد معايا ميزو، يلا يا ميزو تعالى معايا.

معاذ: هيييه لوح مع خالو.

منار: هنا حبيبتي روحي اتفرجي على التلفزيون لو عايزة.

هنا: حاضر يا ماما.

منال: ما لك يا منار؟ وشك مش عاجبني وعينك شكلك معيطة.

منار: لا يا حبيبتي دا انا استحميت امبارح لما رجعت من عند حماتي ولبست خفيف ونمت صاحية، حاساني مزكمة وعيني فعلًا مقفولة من التعب.

منال بشك: ألف سلامة حبيبتي، نفطر وأعمل لك شاي بلمون يفوقك.

منار تقبل يدها: تسلمي ويخليك ليَّ يا ست الكل، هاروح بقى أشوف رحمة.

اتصلت منار على هاتف أختها الصغيرة.

منار: ألو، أيوة يا بنتي، فينكم يلا عشان نفطر مع بعض.

رحمة: لا افطروا انتو أنا هاجي متأخر.

منار: ما لك يا رحمة صوتك مش عاجبني، باسم وعمار كويسين؟ وجوزك بخير؟

رحمة: الحمد لله العيال بخير.

منار: وعلاء؟

رحمة تبكي: ما ليش دعوة بيه ما تسأليش عنه، ممكن؟

منار: لا حول ولا قوة إلا بالله، ما لك يا قلبي؟ بس استغفري الله كدا واهدي.

رحمة: أستغفر الله، من امبارح بالليل ما اعرفش عنه حاجة، اتخانقنا ومشي وما باتش معانا.

منار: لا إله إلا الله، طب يمكن يكون عند حماتك، واتخانقتوا ليه أصلًا؟

رحمة: الغشاش الخاين، شفت على الفيس بتاعه كلام مع واحدة تانية وعمال يحب فيها.

منار: لا إله إلا الله، علاء يعمل كدا؟ مش ممكن.. مش مصدقة!

رحمة: أهو عمل.

منار: طيب اهدي يا رحمة وبلاش تعيطي كدا قدام الولاد، وحاولي تيجي نشوف حل مع بعض وأفهم منك فيه إيه، وطبعًا مش هاقول لك الأخبار دي ما تتقالش لماما.

رحمة: حاضر.

منار: وأنا هاكلم علاء كأن تليفونك مقفول وانا باطمن عليكم وباشوفكم جايين إمتى، ماشي؟؟

رحمة: ماشي حبيبتي، يلا هاروح ألبس الولاد.

منار: وما تبطليش استغفار.

أغلقت الهاتف وهي تتنهد وتستغفر الله وتدعو الله أن يقويها على مصابها ومصاب أختها.

* * *

نعود إلى اليوم السابق في حياة فريدة وكيف مر.

جنة: ماما حبيبتي طبعًا، مش هانام بدري النهار دا، ما فيش مدرسة بكرة، ممكن أقعد بقى أستنى بابا وأشوفه؟

فريدة: ماشي يا عم موافقة.

جنة: مووشكرين يا ماماتي.

فريدة: طب ممكن بقى تخلصي اللي وراكِ كله عشان بابا ييجي تعدي راحتك؟

جنة: حاضر يا ماما فورًا، هاتي بوسة.

فريدة: خدي بوستين.

ذهبت جنة إلى غرفتها وجاءت عائشة.

عائشة: ماما سألتيلي بابا عن موافقته على الرحلة؟

فريدة: أخ، ما علش نسيت خالص يا حبيبتي، بإذن الله ييجي بالسلامة وأقوا له.

عائشة: يا ماماااا برضه نسيتِ؟ طب بالله ما تنسيش بقى.

فريدة: طب ما تقولي له انتِ يا حبيبتي.

عائشة: لا يا ماما ما علش أنا مش واخدة على بابا باتكسف منه.

فريدة تنظر لها في اندهاش: مش واخدة على بابا؟؟ إيه يا عائشة الكلام دا.

عائشة بإحراج: ما علش يا ماما ما اقصدش حاجة وحشة، بس حضرتك فاهمة قصدي أكيد، بعد إذنك هاقوم أذاكر.

ذهبت عائشة وفريدة أيضًا، لكن فريدة ذهبت إلى عالم آخر بعيد عن أولادها، عالم من الحزن الخاص، عالم من التفكير الزائد المؤلم للقلب.

ماما، ماما، أمي، سامعاني؟؟ قال شادي في إصرار.

فريدة: هه؟ أيوة يا حبيبي؟؟

شادي: ما لك يا ماما حضرتك تعبانة؟

فريدة: شوية يا شادي محتاجة أريح شوية بس.

شادي: طيب خلاص.

فريدة: ما لك يا بابا؟ عايز حاجة؟

شادي: كنت جعان بس بدل حضرتك تعبانة هاروح أحط لي أي حاجة.

فريدة: يا حبيبي، طيب ممكن تستنى بابا هو زمانه جاي وبكرة اجازة فاسهروا شوية وناكل معاه.

شادي بتردد: طيب يا ماما ما فيش مشكلة.

فريدة: ماشي يا قلبي يلا كمل اللي وراك عشان نقعد مع بعض براحتنا.

ذهب شادي إلى غرفته وأرادت فريدة أن تستريح قليلًا قبل العشاء، فهي مرهقة حقًّا منذ الصباح، أعمال البيت، وطلبات أولادها قضت على قوتها، ولكن هيهات، سمعت مشاجرة بين جنة وحبيبة، كالعادة ذهبت ترى ما بهن.

* * *

مالك يا أسماء بس؟ بطلي عياط بقى حبيبتي، قالت منيرة والدة أسماء في محاولة منها لتهدئتها.

أسماء: محم، محمد يا ماما خلاص تعبني ومش قادرة أواصل كدا.

منيرة: يا حبيبتي لازم تعرفي تفهمي جوزك والرجالة زي الأطفال محتاجين معاملة خاصة.

أسماء تزيد في بكائها: طب وأنا، مش، مش، مش ليَّ حقوق، مش المفروض يفهمني برضه، يحبني؟

منيرة: لا ما لكيش حق يا سوسو، انتِ عارفة كويس محمد بيحبك قد إيه يا بت، دا فضل دايب فيكِ من وانتو صغيرين لحد ما كبرتِ وخطبك واتجوزك.

أسماء: أهو كلام، كله كلام، هو الحب دا مش المفروض فعل؟

منيرة: آه فعل طبعًا وكلام برضه، بس يا حبيبتي مش كل الرجالة بتعرف تعمل أفعال.

منيرة: يا ماما أنا بس قلت عايزة أروح للدكتور يقول لي خدي آيات أختك؟

منيرة: كنتِ كبرتِ دماغك وجيتِ خدتِ آيات ولا أنا كنت جيت معاكِ وإسلام أخوكِ وصلنا ولا تقهري نفسك.

أسماء: يا ماماااا الحكاية مش بس دكتور، كل حاجة يا ماما كل حاجة باعملها لوحدي، هو أنا متجوزة ليه يا ناس بس؟ مش عشان السكن؟؟ السكن دا مش حضن جوزي ولا أكلة ونومة وخلاص!

منيرة: لا حول ولا قوة إلا بالله، طب انتِ عايزة إيه دلوقتي؟

أسماء: عايزة أطلق.

منيرة: إيه؟؟؟ بعد الشر، ليه كدا يا بنتي؟

..قاطعها رنين جرس الباب.

منيرة: تلاقيها خالتك جت أهي.

ذهبت أسماء تفتح باب الشقة.

سعاد والدة محمد زوجها وخالتها أيضًا.

حبيبتي يا سومة، إزيك يا جميلة؟

أسماء تمسح دموعها: الحمد لله يا خالتو بخير.

سعاد: وفين لوكا حبيبي؟

أسماء: بيلعب مع ابن الجيران عندهم.

سعاد: أحسن برضه عشان ما يشوفكيش كدا، إيه يا بنتي ما لك بس؟

أسماء: تعبت يا خالتو من محمد وهو ولا هو هنا، عايزة أعيش زي بقية الناس بيت وزوج وزوجة مش عايشة بابني لوحدي.

سعاد: إزيك يا منيرة، وازي عبد الهادي؟

منيرة: إزيك يا اختي؟ الحمد لله، وحسين عامل إيه؟

سعاد: الحمد لله كويس والله.

منيرة: روحي يا أسماء اعملي لنا كوبايتين شاي.

أسماء: حاضر يا ماما.

سعاد: إيه يامنيرة فيه إيه؟

منيرة: اللي فيه كل مرة يا سعاد؛ محمد رامي البت ومع ماتشاته وصحابه والفيس ولا التيس اللي بيقولوا عليه دا، البنت كام مرة تقول لي بس أنا أهديها بكلمتين، بتقول له عايزة أروح للدكتور يقول لها خدي أختك، دا كلام برضه!

سعاد: ما يمكن وراه مشوار مهم ولا تعبان يا منيرة.

منيرة: نعم؟؟ لا ما وارهوش حاجة وحتى لو وراه ومراته بتقول له عايزة أروح لدكتور، يبقى لازم يسمع ويروح معاها، ولا إيه؟ مش هو ضهرها برضه ولا إيه يا ام محمد؟

سعاد: عندك حق، بس هنقول إيه؟ نخرب عليهم يعني ولا ما نبصش للواد الصغير اللي بينهم؟

منيرة: لا قلت نخرب عليهم ولا نرمي الولد، بس كدا ما يرضيش ربنا، أنا كلمتها بالراحة عشان أهديها، بس كدا ما ينفعش، محمد آه وحيدك وانتِ مدلعاه، بس ما علش البنت تعبت ولازم وقفة وإلا هادخل عبد الهادي بقى يقعد مع محمد ومع حسين.

سعاد: لا بلاش حسين، انتِ عرفاه بيحب أسماء ازاي ،وهيتنرفز على محمد، بلاش.

منيرة: طيب أنا كلمت محمد أصلًا قبل ما اجي وقلت له إني رايحة عنده وييجي بعد ساعة كدا، زمانه جاي.

رن جرس الباب، أهو جه، قالت سعاد وهي تهم بفتح الباب.

جاءت أسماء بالشاي وألقت نظرة على محمد أثناء دخوله وأشاحت بنظرها بعيدًا عنه.

محمد لمنيرة: إزيك يا خالتو، إزيك يا ماما.

منيرة وسعاد: إزيك يا محمد.

محمد: إزيك يا أسماء؟

لم ترد السلام.

سعاد: الله! ما تردي على جوزك يا بنتي.

أسماء: الحمد لله.

منيرة: ما لكم بقى؟ إيه يا محمد مش اتكلمنا كتير قبل كدا في موضوعكم دا؟

محمد: يا خالتو والله أنا ما عنديش مشكلة، هي اللي زعلانة ما اعرفش ليه.

أسماء بحنق: يا سلام! يعني أنا مجنونة بقى؟

منيرة: استني يا أسماء، يا ابني بنتي لا كانت بتخرج ولا بتدخل على يدك، من بيت أبوها لبيتك، يعني محتاجة تشوف الدنيا معاك، محتاجة تحس إنك في ضهرها وإنها مطمنة.

محمد: يعني أسيب شغلي بقى وأقعد جنبها يا خالتو؟

سعاد: ما تتكلم عدل يا محمد، هو حد قال لك سيب شغلك وحالك؟ بس بيتك ومراتك وابنك ليهم عليك حق، ولا إيه؟

محمد: صح يا ماما، بس برضه هي لازم تقدر ظروفي وما تزنش.

أسماء: سامعة يا ماما؟

منيرة تشير لابنتها بالصمت: طيب وانتَ هتعرف هي عايزة إيه من غير كلام؟؟

محمد: ما انا باعمل كل حاجة ترضيها وطلباتها وطلبات البيت ومالك مجابة.

منيرة: بس البيت ما بيقومش على فلوس يا حبيبي بس، ولا الست عايزة بس طلبات من جوزها.

سعاد: الله ينور عليكِ يا اختي، يا ابني الست محتاجة حنان جوزها ومحتاجة حضنه واهتمامه فهمت؟

محمد يجلس بجانب أسماء ويمسك كفها بيده.

طب خلاص بقى يا أسماء حقك عليَّ، وآدي إيدك أبوسها، طب والله باحبك، والدكتور هاروح معاكِ ماشي يا ستي.

أسماء تحاول التملص من يده وهي تنظر لوالدتها وخالتها في إحراج.

ما كل مرة كدا ونرجع برضه عند نفس النقطة يا محمد.

سعاد مازحة: ما خلاص بقى يا أسماء هتضيعي لي الواد اللي حيلتي ولا إيه؟

منيرة: لا بعد الشر، ها قلتِ إيه يا سومة؟ فرصة ممكن عشان خاطري وخاطر خالتك.

أسماء صامتة.

محمد: ما خلاص بقى يا سومة دا انا ابن خالتك، يعني في مقام أخوكِ.

فلتت ضحكة من أسماء وهي تنظر إلى كفها في يده.

خلاص يا ماما، خلاص يا خالتو عشان خاطركو انتو بس.

محمد يهم باحتضانها.

سعاد تغمز لأختها: يلا بينا يا منيرة يا اختي واضح إن مهمتنا انتهت هنا.

منيرة تضحك: يلا.

أسماء: لا يا جماعة هتتغدوا معانا النهار دا.

سعاد: لا يا حبيبتي عمك حسين ما يعرفش يقعد من غيري يوم.

محمد يغمزها: يا عم يا عم، شايفة يا بنتي العواطف؟

منيرة: وانا يا ولاد ما اقدرش أقعد من غير عبد الهادي برضه، انتو عارفين هو تعبان وما يستغناش عني.

محمد: لا كدا كتير يا جماعة والله، اتعلمي يا بنتي، اتعلمي من الناس الكبارة بقى.

سعاد: اتلم يا واد انتَ، أسماء هاتي لي كوباية مية حبيبتي.

أمسكت ذراع ابنها بقوة: محمد، اتلم بقى وشوف حال بيتك ومراتك وابنك كلهم محتاجينك، بلا ماتش بلا قرف، فوق لنفسك يا إما وربنا أنا اللي هاقف لك.

محمد يقبل يدها: حاضر يا ماما حقك عليَّ، حقك عليَّ يا خالتو جِبناكم على ملا وشكم ما علش، نورتونا والله.

أسماء: اتفضلي يا خالتو.

سعاد: من يد ما نعدمها يا عين خالتو، يلا سلام عليكم.

أسماء: طب خليكو لما أجيب مالك تشوفوه.

منيرة تغمزها: لا خليه يلعب مع صاحبه شوفي جوزك انتِ.

محمد: حبيبتي خالتي دي.

تلكزه أسماء في كتفه.

مع السلامة يا ماما، مع السلامة يا خالتو، سلموا لي على بابا وعمو.

أغلق محمد الباب، ونظر لأسماء وهو يغني، ويدغدغها.

آكلك منين يا بطة؟ آكلك منين؟

أسماء وهي تصرخ: محمد بطل هزار بقى، بطل زغزغة الناس هتقول إيه! بس بقى.

محمد وهو يحملها بين يديه: هيقولوا واحد وبيحب مراته، إيه فيها حاجة دي؟

ظلت أسماء تضحك وهي تدعو الله أن تظل أيامها كلها ضحك وسعادة.

غادة السندريلا

على طاولة الطعام على العشاء تجمعت الأسرة، عادل، فريدة، عائشة، شادي، وجنة وحبيبة.

كانت فريدة سعيدة بتلك الجلسة، فها هي بجانب حبيبها وفلذات كبدها منذ زمن مجتمعين على الطعام.

فريدة: عادل، عائش حبيبتي عندها رحلة وحابة تروحها.

عادل: طيب ما انتو عارفين رأيي في موضوع الرحلات والخروج دا!

عائشة صامتة ونظرت لها فريدة نظرة دعم.

فريدة: ما هو مع صاحباتها والمشرفين هيبقى أمان بإذن الله، وهي من أول السنة ما راحتش في حتة وفرصة...

عادل: طب هافكر.

فريدة: شكرًا حبيبي.

جنة: بابا أنا كمان عايزة أخرج.

حبيبة: آه يا بابا ويا ريت معاك، حضرتك على طول مشغول.

عادل يبتسم: طب يا حبايبي أنا باعمل كل دا لمين، مش ليكم؟

فريدة بهدوء: حبايبي بإذن الله نرتب خروجة كلنا مع بعض ماشي، ممكن تكملوا أكل بقى؟

عادل: يعني شادي وعائش ما اتكلموش من ساعة ما قعدنا، مش عايزين حاجة تاني يا حبايبي؟

شادي مبتسمًا: لا يا بابا شكرًا لحضرتك، أنا بس باسمعكم وبأؤيد موضوع الخروجة دي.

عائش: لا شكرًا يا بابا مش محتاجة حاجة تاني.

فريدة: عاملة لكم كيك تحفة للسهرة.

عادل: بالهنا والشفا ليكم انتو.

فريدة بحزن: ليه هو؟ هو انتَ مش هتقعد معانا شوية؟

عادل: للأسف لأ؛ عندي ميعاد مهم مع رؤوف، هنتكلم في شوية مشاكل في الشغل.

فريدة: طيب ما ينفعش تتأجل؟ ونسهر مع بعض النهار دا.

عادل وهو يقوم من مجلسه: إيه يا فريدة هو أنا باقول لك رايح ألعب!

فريدة: لا ما اقصدش بس...

عادل: حضري لي البدلة الكحلي بسرعة على ما آخد شاور.

فريدة: حاضر.

ثم استطردت لتغير الجو العام السائد على أطفالها بعد هذا الحديث.

من فضلكم شيلوا الأكل للمطبخ على ما أحضر لبابا حاجته.

ذهبت لتحضر أشياءه، كانت تتحرك كالمومياء، دون أي تعبير على وجهها، نصف ساعة أو أقل مع عائلته هذا هو كل المجهود الذي قام به كي يتواصل معهم، وكالعادة طغا العمل على اهتمامه وعقله.

ما تستنينيش، قال عادل في عجالة.

لم ترد فريدة، هي لم تكن تنوي انتظاره.

رحل كما جاء، لم يترك أثرًا.

* * *

سلام عليكم، أيوة يا ابو عمار عاملين إيه؟ قالت منار لزوج أختها على الهاتف.

علاء: وعليكم السلام ورحمة الله إزيكم انتو يا أم هنا.

منار: الحمد لله، إيه فينكم، مش عارفة أوصل لرحمة وعايزين نفطر سوا.

علاء: الله يكرمك بألف هنا، أنا عند والدتي ورحمة في البيت بس أكيد هتيجي لكم.

منار: خير، الوالدة تعبانة ولا إيه؟

علاء بارتباك: آه شوية كدا الله يشفيها.

منار: لا ألف سلامة يا رب يعافيها، خلاص هاحاول أتصل بيها تاني وسلامي للحجة سلام عليكو.

علاء: وعليكم السلام.

أغلقت مع علاء واتصلت فورًا برحمة.

منار: أيوة يا رحمة، آه زي ما قلت لك عند حماتك، خلصتِ ولا، طيب هاستناكِ حبيبتي.

منال والدة منار: ها يا بنتي، رحمة جاية؟ إيه كل الرغي دا؟

منار: آه يا حبيبتي جاية بس هتتأخر شوية لأن علاء مش معاها؛ والدته تعبت شوية وراح يشوفها.

منال: لا حول ولا قوة إلا بالله، طب نتصل بيها؟

منار بارتباك: هابقى اتصل بعلاء أطمن عليها.

أيمن: ما تخلصونا بقى الجمعة هتبتدي.

منار: بس بس، أعوذ بالله من جوعك! يلا ورايا على المطبخ.

أيمن: مطبخ؟؟ وأنا ما لي أنا؟! وبعدين هو عبد الله مش هيفطر معانا ولا إيه؟

منار: آه هابعت له هنا تصحيه عشان الصلاة كمان.

* * *

شوف مين على الباب يا أدهم، نادت غادة وهي في المطبخ.

أدهم: يا ماما بقى عايز أتفرج شوية بمزاج.

غادة تبتسم لصغيرها: يا سلام هو أنا يعني باقل مزاجك؟ ما علش يا حبيبي حقك عليَّ.

أدهم يفتح باب الشقة.

دي عمتو منى وعمتو أميرة يا ماما.

غادة: أهلًا يا بنات، إزيكم، نورتو، أهلًا أشرف، إزيك ريتاج حبيبتي، عز حبيبي عامل إيه، أمال أحمد فين؟

ومدت يدها سلمت على منى وأميرة اللتين سلمتا عليها ببرود ولكنها لم تبالِ؛ فهي تعودت ذلك، وقبلت كل أولادهم.

أميرة: طالع ورانا، أمال فين أخويا؟

غادة: نزل يصلي.

منى: طيب، أدهم، عامل إيه يا حبيبي؟

أدهم: الحمد لله يا عمتو.

أميرة: لؤي فين؟

غادة: نزل مع باباه، أجيب لكم حاجة تلبسوها وتغيروا؟

منى بحدة: لا احنا جايبين هدومنا معانا.

غادة: طيب براحتكم أنا داخلة أكمل الأكل والبيت بيتكم.

أميرة: عايزة شاي يا غادة دماغي واجعاني.

غادة تضغط على أسنانها من الطريقة.

حاضر يا أميرة، هاعمل لي وأعمل لك.

وانتشر الأولاد في البيت بأكمله وعاثوا فيه، لعبًا بالكرة ودخولًا لغرفة نومها واللعب في أشيائها الخاصة، وأميرة ومنى لم تصدر منهما كلمة واحدة اعتراضًا على تصرفات أولادهما.

غادة: أميرة، لوجين بتنده عليكِ شكلك وحشتيها.

منى بسخرية: هي الهبلة دي بتعرف تنده ولا عارفانا أصلًا؟!

غادة بحزن: ليه كدا يا منى؟ دي لوجي بتحبكم والله، وآه عارفاكم طبعًا مش عماتها!

لوت منى فمها استنكارًا وصمتت، تركتهم غادة وهي تغلي من الغضب ودخلت غرفة نومها وجدت ريتاج وأشرف المسمى على اسم زوجها بالطبع، يلعبان في دولابها الخاص.

غادة: لا يا ولاد عيب كدا لو سمحتو روحوا العبوا مع اخواتكم في أوضة أدهم.

جاءت أميرة: فيه إيه يا غادة؟

غادة محاولة تصنع الهدوء.

ما فيش يا أميرة فاتحين الدولاب وبيلعبوا فيه.

أميرة: يعني هما كانوا لعبوا في الملفات السرية! ما بالراحة على العيال.

غادة: لا حول ولا قوة إلا بالله، هو أنا كنت ضربتهم يا أميرة؟! أنا قلت لهم عيب بس وروحوا العبوا مع أدهم.

أميرة بحدة: خلاص خلاص، مش عارفة مش طايقانا ليه! حتى أمي الست الكبيرة هزأتيها في بيتك.

غادة باستنكار: أنا يا أميرة هزأت حماتي؟

أميرة: أيييييوة بقى، اعملي فيها الطيبة واحنا الأشرار.

غادة: لا طيبة ولا أشرار، أنا راحة أشوف اللي على النار.

بابا جه بابا جه، صاح أدهم في فرح عند دخول والده.

أشرف: أهلًا أهلًا يا ميرو، إزيك يا منمن، إزيكو يا ولاد.

منى: إزيك يا اخويا.

أشرف: الحمد لله بخير، منصور جوزك عامل إيه؟

منى: هيعمل إيه؟! كويس.

خرجت أميرة: إزيك يا أشرف يا حبيبي.

أشرف: إزيك يا أم أشرف يا حبيبتي.

أميرة: أم أشرف إيه بقى! هي مراتك طايقاني ولا طايقة أشرف.

أشرف يعقد ما بين حاجبيه: ليه كدا بس؟ دي غادة طول عمرها بتعاملكو زي اخواتها.

أميرة: قوي.

أشرف: باقول لك إيه، يلا ناكل مع بعض وسيبك من الكلام دا، دا انتو واحشينِّي قوي.

تناولوا الغداء ما بين همز ولمز أميرة ومنى، وغادة تسيطر على أعصابها بشدة.

دخل أشرف المطبخ لغادة: غادة، لفي بقية الأكل ياخدوه معاهم.

غادة باندهاش: ليه يا أشرف؟

أشرف: هو إيه اللي ليه؟ هو مالك؟

غادة: وإيه لازمة الكلام بالطريقة دي دلوقتي؟

أشرف: ما انتِ بقيتِ بخيلة قوي، اللي أقوله يتنفذ من غير نقاش، اخواتي وعايز أديهم حاجة، إيه المشكلة؟

غادة: اخواتك أنا أكرمتهم في بيتك آخر كرم، واللي باقي لأولادي.

أشرف يضغط على أسنانه: لفي الأكل، عيالك مش هاجوعهم.

وغادروا المنزل دون حتى مساعدة في رفع طبق واحد من أطباق الغداء، غير الإعصار المسمى أطفالًا، الذي حطم الكثير من الأشياء، ظلت ترتب وتنظم لأكثر من ساعتين.

أشرف: هنفضل كدا كتير؟

غادة: اللي هو إيه؟

أشرف: اللي هو تقريبًا مقاطعاني، والخناق اللي مستمر دا.

غادة: لا مقاطعاك ولا حاجة، انتَ شايف إن فيه حاجة تستدعي إني أقاطعك؟

أشرف: بلاش تلعبي عليَّ يا غادة.

غادة: انتَ شايف إني المفروض ما ازعلش؟ والمفروض إني ما احسش بالقهر من تحكمات أهلك فيَّ وفي بيتي وحياتي.

أشرف: يااه كل دا عشان جلابية؟؟ وشوية أكل؟ بواقي كمان.

غادة: ما فيش فايدة، برضه شايف الموضوع موضوع جلابية وبواقي! مع إنه ما كانش بواقي، دا لو حتى موضوع جلابية حقي إني أزعل وانتَ عارف كويس قوي إني ما بيفرق معايا أكل ولا الكلام دا، الحمد لله إن نظرتي للأمور نظرة تانية.

أشرف: يووه، أنا ما بقيتش فاهم حاجة، أنا تعبت وزهقت.

غادة وعيونها تلمع بالدموع: لا سلامتك من التعب، عايزاك بجملة التعب تفكر في موقف الجلابية واليوم النهار دا عدى ازاي، ومن ساعة

ما اتجوزنا ومعاملة والدتك واخواتك عاملة ازاي، وانا مستحملة إيه، وبعدين تشوف أنا زعلانة ليه، مع إني أشك إنك تعرف.

نظر لها نظرة جامدة وخرج من المنزل كالعادة.

* * *

ردت فريدة على هاتفها.

سلام عليكم؟

منار: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إزيك يا فيري؟

فريدة: منو عاملة إيه حبيبتي؟ الحمد لله بخير إزيك وازي أولادك؟

منار: الحمد لله في نعمة، يعني لا اتكلمتِ ولا عبرتيني يا ست.

فريدة: والله مشغولة مع العيال قوي.

منار: مممممم، العيال ولا أبو العيال؟

فريدة: أهي دي بقى أكبر نكتة سمعتها.

منار: حتى انتِ يا فريدة؟؟

فريدة: الله المستعان، قولي لي أخبار البنات إيه؟

منار: الحمد لله، لما قلت لهم إني شفتك ما حدش صدق وفرحوا قوي قوي.

فريدة: وحشتوني كلكم والله يا رب دايمًا تكونوا بخير، وسارة عرفتِ عنها حاجة؟

منار: آه الحمد لله قدرت أوصل لها بمساعدة غادة.

وقصت عليها أخبار سارة سريعًا.

باقول لك إيه، انتِ ما عندكيش فيس أعتقد، قالت منار.

فريدة: ليه يا اختي قرعة؟

منار ضاحكة: يا حلاوتك وبتإلشي كمان.

فريدة: طبعًا، أمال فاكراني قديمة ولا إيه! لا يا ستي ما عنديش، ولادي الكبار عندهم، ليه بقى؟

منار: عشان كلنا عندنا وعايزين نعمل شات كدا بيبقى أسهل في التواصل كتير والرغي، ما تخلي حد من عيالك يعمل لك.

فريدة: يا اختااي انتِ عايزة عادل يطردني، دا ما بيستحملش إني أمسك التليفون ولا أفتح التلفزيون ولا أمسك كتاب حتى لو صادف وهو قاعد ولا صاحي، ولو نايم يصحى يقول لي قومي نامي.

منار: إيه يا بنتي انتِ في طرة؟!

فريدة: لا سجن النسا، اسكتي بقى هتفضحينا.

منار: ما ليش دعوة، اعملي واحد يا فريدة بقى، يا إما هاعمل لك والله.

فريدة: طيب خلاص خلاص هاعمل، يلا سلام بقى لاحسن زمانه طالع من صلاة الجمعة.

منار: سلام يا فريدة.

أغلقت الهاتف وهي مندهشة من حال صديقتها، وحدثت نفسها بصوت عال.

هي الرجالة جرالها إيه؟؟

نادت عليها منال والدتها: جرى إيه يا منو؟ بتكلمي نفسك! أطلب العباسية؟

منار: آه يا ماما يا ريت.

منال: بعد الشر عنك يا قلبي، تعالي أختك باين طالعة أهي سامعة صوت عيالها على السلم.

منار: حاضر يا ماما، وبصوت منخفض: ياترى انتِ كمان حالك هيتعدل ولا إيه يارحمة! أستغفر الله.

❋ ❋ ❋

شات القنبلة

كانت فريدة تعد طعام الإفطار لزوجها وأولادها بعد صلاة الجمعة وهي مبتسمة من الأخبار الرائعة عن وصول منار وبنات الشلة لصديقتهن سارة، تنهدت وحدثت نفسها، أخيرًا يا فريدة، يا الله! كم من الوقت مر علينا ونحن في خضم الحياة، تزوجنا جميعًا وأنجبنا وصارت لدينا مسؤوليات كبيرة، يا إلهي كم أشعر أنني طفلة سوف تتنزه مع صديقاتها في مدينة الألعاب.

ابتسمت وتعجبت من نفسها لشدة فرحتها، ألهذا الحد تشتاقين لرفقة؟ لحب صادق؟ للمرح؟؟!!

نادت عليها عائشة: ماماتي، ممكن نروح لخالتو فاتن بعد الفطار، وحشتنا قوي.

فريدة مبتسمة: ممكن يا روح ماما، بس الأول استأذني بابا انتِ عارفة بيخاف تمشوا لوحدكم.

عائشة متأففة: يا ماماااا، هو أنا صغيرة؟!

فريدة: عائش من فضلك، اسمعي كلامي وما توجعيش قلبي.

عائشة مستسلمة: حاضر.

فريدة تعلم جيدًا رد زوجها فهو دومًا لا، ولكن لا مانع من المحاولة.

بدأت في وضع الأطباق على المائدة، وهي تسمع استئذان عائشة من والدها ومنتظرة صدمة ابنتها من الرفض.

نظر عادل من وراء جريدته إلى ابنته.

موافق يا عائش.

عائشة: يا بابا بس ليه ما.. إيه! حضرتك موافق؟

عادل مبتسم: إيه أرجع في كلامي؟

عائشة: لا لا يا بابا شكرًا لحضرتك، بعد إذنك.

وركضت مسرعة إلى أخواتها تخبرهم بالخبر.

فريدة: بجد وافقت يا عادل! شكرًا بجد، شكرًا حبيبي، انتَ عارف فاتن بتحبهم قد إيه خصوصًا إن ربنا ما رزقهاش بأولاد.

عادل: أنا باثق في فاتن وأنور وانتِ عارفة دا، ويلا خلي الأولاد يتنفسوا شوية.

نظرت له فريدة نظرة شك، كانت تود لو أمسكته من تلابيب قميصه وعنفته وأجبرته على الاعتراف بمكان زوجها الحقيقي، فالذي أمامها بالتأكيد شخص مزيف، ابتسمت لتلك الأفكار الطفولية واستطردت في حب.

طب يلا نفطر سوا قبل ما يروحوا.

* * *

يلا احكي بقى إيه اللي حصل، آديني اتحججت بإني عايزة آكل المحشي من إيد ماما عشان أعطلها في المطبخ شوية، وعبد الله خد الولاد ومعاذ يجيب لهم حاجات، انطقي بقى قبل ما أخوكِ يطب تاني علينا.

قالت منار لأختها رحمة.

رحمة: أبدًا، زي ما قلت لك، عرفت إن علاء بيكلم واحدة على الفيس وبيحبها.

منار: جبتِ التايهة؟؟ ما انا باقول لك احكي بالتفصيل يا ذكية.

رحمة: بقاله فترة متغير، سرحان، ماسك التليفون على طول، عمل له باسوورد، لو سابه من إيده ومسكته وشه يصفر ويجيب مية لون، ولا لو

نسي التليفون لازم يرجع بأي حجة بسرعة البرق عشان ياخده، أكنه عيل من عياله.

منار: ها وبعدين؟

رحمة تلوي فمها: ولا قبلين عمار كان قعد جنبه وعرف الباسوورد.

منار تحملق بها استنكارًا: انتِ اتجننتِ يا رحمة؟؟

رحمة مرتبكة: لا ما انا ما قلتلوش اعمل كدا، وبعدين أنا عاقبت عمار لما قال لي إنه يعرف الباسوورد بتاع باباه، هو كان فاهم إنه عمل حاجة حلوة، فأنا غلطته وقلت له مش هاقول لبابا طبعًا، بس بوعد ما تعملش كدا تاني.

منار تتنهد طالبة الصبر من الله: ها وبعدين؟

رحمة: استنيت لما الولاد ناموا وبعدين فتحت الفون وقريت كل حاجة، عامل فيها حبيب وهي واحدة قذرة أصلًا.

منار: وليه لما حسيتِ بتغيير في جوزك ما رحتيش وسألتيه؟

رحمة: ما هو أكيد يعني كان هينكر.

منار: عرفتِ منين؟؟ بصي جوزك غلطاااان جدًّا طبعًا ما حدش ينكر دا، لكن انتِ كمان غلطانة.

صاحت رحمة: نعم؟؟

منار: وطي صوتك، أيوة غلطانة عشان فتشتِ وراه في تليفونه، حتى لو تكادي تكوني متأكدة إنه بيعمل غلط، ما تعمليش انتِ غلط وتشيلي نفسك ذنب، انتِ في موقف زي دا محتاجة ربنا يرضى عنك عشان يرزقك التصرف الصحيح مش تعملي شيء يغضبه، دي حاجة، تاني حاجة مش عايزاكِ تزعلي حبيبتي ولا تقهري نفسك وليها حل إن شاء الله.

رحمة وعيناها تلمع قهرًا: طب رأيك إيه؟

منار: بصي لو نزوة عابرة عادي جدًّا تعديها المرة دي، علاء كويس لا بتاع نسوان ولا خامورجي يا رحمة، ويمكن جدًّا يكون محتاج تساعديه يبعد عن الذنب دا قبل ما يغرق فيه زيادة، وطبعًا طبعًا وارد جدًّا تكون الهانم اللي بتكلمه من النوع البجح اللي بيعرف ازاي يجر رجل الراجل.

رحمة مستنكرة: يا سلام! وهو عيل صغير؟

منار بخبث: طيب خلاص يعني واضح إنك عايزة نقول تطلقي مثلًا؟ تمام هابلغ علاء بقرارك دا.

رحمة متلهفة: استني يا منار إيه هو سلق بيض!

منار: بصي يا رحمة أنا عارفة إنك بتحبي جوزك وهو محتاج فرصة تانية لله أولًا، ثم ليكِ ثم أولادك يا حبيبتي، غلط آه، وما حدش فينا ما بيغلطش، عارفة إمتى أقول لك تهدي المعبد؟ لما يكون الراجل همه فقط نزواته وخياناته، لكن ما دام على البر وأول مرة، يبقى إيه المانع لو سامحناه وغفرنا ودعينا ربنا عز وجل بالهداية ليه ولينا عشان نقدر نتغلب على نفسنا الأمارة بالسوء.

رحمة تحتضن أختها: يعني دا رأيك؟

منار تملس على شعرها: آه دا رأيي، ودي حياتك واستخيري وفكري وشوفي هتعملي إيه حبيبتي، ودا ما يمنعش إنك لو قررتِ تسامحيه إنك تعذبيه شويتين وتتكلمي معاه كتيير وتعرفوا سوا إيه اللي وصلكو للطريق دا.

ثم أمسكت بأذنيها متوعدة.

وطبعًا مش هاوصيكِ إنك لازم تقربي من ربنا وتقوي جوزك وعيالك على طاعة الله، يا رحمة انتِ بتقطعي في صلاتك، ما يرضيش ربنا وطبيعي كدا تلاقي منغصات في حياتك.

رحمة: يعني ما فيش رجالة بتعمل زي علاء وبيكونوا بيصلوا وبتكون مراتتهم آية؟؟

منار: مين قال ما فيش؟ فيه ونص كمان، الرجالة اللي ما يملاش عينها غير التراب كتيييير، الله يعافينا يا حبيبتي، والرجالة اللي عايشة بس لشهوتها في الحرام كتير برضه، الله يعافي أزواجنا، بس مهم جدًّا جدًّا نفرق بين دول وبين اللي بتزل قدمه ومحتاج عون على التوبة، أمال إحنا متجوزين ازاي يا رحمة؟ الجواز على الحلوة والمرة مش حلو بس لأ، لازم نقوم بعض ونعين بعض، فهمتِ؟ جوزك طيب زلت قدمه نوقفه ونفهمه غلطه كويس قوي ونعاقبه كمان لو عايزين بس بالعقل وبحدود، وما نهدش بيت فيه أولاد ما لهمش ذنب محتاجين كل ثانية في حضن بيتهم وأبوهم وأمهم، ولازم ندور على طاعتنا وحياتنا لو فيها شيء محتاج يتعدل نعدله، والله يرزقنا التقوى.

رحمة: حاضر يا منار هاسمع كلامك المرة دي، والله يهديه ويصلح حالنا، طب وانا بقى أروح كدا واصالحه ولا إيه؟

منار: تصالحي مين يا هبلة! والله شكلك ما فهمتِ حاجة، بصي انتِ هتروحي عادي خالص ما هو دا بيتك يا هبلة وما تسيبيهوش، دا حقك

وحق أولادك، وعلاء طبعًا لازم يرجع، يعني محتاج يغير، محتاج ورق شغله، محتاج يشوف عياله، ومحتاج برضه يحاول يصالحك، ما هو عارف كويس إنه غلطان، ييجي بقى ما تكلميهوش، لما يحاول يصالحك كلميه بالعقل وفهميه المصيبة في دينه الأول وبعدين مصيبته معاكِ بسبب اللي عمله، وعاقبيه براحتك ووقت ما تحسي إنك قادرة تكلميه تاني أو ترجعيه في إطار الحياة الطبيعي تاني اعملي كدا، بس بلاش مغالاة يا رحمة ماشي؟ شدي وارخي حبيبتي، الرجالة مش زينا بتستحمل لأ؛ دول زي الأطفال.

رحمة بحزن: وتفتكري هاقدر أنسى بسهولة كدا؟

منار تربت على كتف أختها: لا مش هاكدب وأقول لك آه، بس حاولي، حقك وحقه وحق عيالك إنك تحاولي.

* * *

فريدة تودع أبناءها على الباب.

عائش حبيبتي خدي بالك من اخواتك، شادي انتَ راجل يا حبيبي خد بالك من اخواتك.

عائشة: بقى شادي راجل؟

فريدة تنهرها: أيوة طبعًا الله يحميه، يلا بألف سلامة، سلموا لي على فاتن وعمو أنور كتير.

جنة وحبيبة: سلام يا ماما.

دخلت وهمت بالذهاب إلى المطبخ لترتيبه بعد الإفطار.

عادل: فريدة؟

فريدة: نعم يا عادل، أعمل لك قهوة؟

عادل: لا يا حبيبتي، تعالي اقعدي معايا شوية.

فريدة مندهشة: حاضر، بس أنا عارفة إنك وراك أوراق شغل محتاجة مراجعة، دي عادتك يوم الجمعة يعني.

عادل: يعني قصدك إيه؟

فريدة مسرعة: ما قصديش حاجة آديني جيت.

عادل: الورق والكلام دا لما يكون الولاد هنا.

فريدة: مش فاهمة.

عادل: يعني الولاد مش هنا يا فيري وانتِ فاهمة بقى، أصلك واحشاني قوي.

فريدة تضحك بمرارة: فيري؟ آاااه قول كدا، فهمت، مع إني باكون لوحدي كتيييييييير وباطلب منك تقعد معايا نتكلم، نخرج، نضحك، لكن أنا فهمت دلوقتي.

ثم استطردت بحزن: يعني وافقت الولاد يروحوا عند أختي عشان كدا بس؟ وعايزيني أقعد معاك وجنبك عشان كدا بس يا عادل؟

عادل بنبرة غضب: فيه إيه يا فريدة ما لك بتكلميني كدا ليه؟ هو حرام أطلبك ولا إيه؟؟

فريدة بعيون دامعة تحاول إخفاءها: لا أبدًا، ولا حرام ولا أي حاجة.

عاد عادل لنبرة المرح وهو مدرك تمامًا لتغير تعابير وجهها ولكن لم يبالِ.

طيب هاتي لنا طبق فاكهة وتعالي.

أومأت فريدة بإذعان صامت، مؤلم، قاهر لأنفاسها، مؤلم لقلبها، ومضت.

* * *

مرت بضعة أيام وكل البيوت بل القلوب على نفس حالتها.

فريدة وعادل.

منار وعبد الله.

أسماء ومحمد.

غادة وأشرف.

ظلت فريدة تفكر جديًّا في عمل حساب على الموقع المسمى الفيس بوك ولكن ما زالت لا تجد الوقت لتطلب من عائشة أن تنشئ لها حسابًا وأن تعرفها بعض تقنياته.

منار لم تحدث عبد الله بشأن تلك الليلة عندما تركها عند والدته وذهب لصديقه؛ بل مرت الأيام كما هي، تموت هي من الداخل ويحيا هو حياته طولًا وعرضًا بمرح، رحمة أخبرتها أن علاء ظل يعتذر كثيرًا ويحاول بالفعل أن يكفر عما فعله وهي بدأت تتقبل اعتذارته، سعدت منار لأجل أختها الصغيرة ودعت لها بارتياح البال، ولها أيضًا.

محمد زوج أسماء لم يتغير كثيرا؛ فهو يحاول ولكن أسماء تؤمن بأنه لن يتغير، تنهر نفسها أحيانًا كثيرة بسبب سوء ظنها وتشاؤمها ولكنها معذورة؛ فهو ما زال بعيد جدًّا عنها وعن مالك.

غادة قررت عدم عتاب زوجها أشرف مرة أخرى؛ فهي قد تعبت كثيرًا من العتاب ووجدت أنه من السفه الاستمرار في شيء لم يزدها إلا ذلًّا له.

أنشأت منار محادثة لها ولغادة وأسماء وسارة أيضًا، وأخيرًا طمأنتها فريدة أنها أنشأت حسابها الجديد فأضافتها منار لتلك القنبلة التي على وشك الإنفجار.

منار تكتب: هيييييييه هيييييه لولولولولييييي.

أسماء: هههههههه يا مجنونة واحشاني.

منار: الله هو فين بقية الناس، أين أنتم يا قنابل المستقبل.

أسماء: هههههههه منار بطلي هتفطسيني ضحك.

منار: هو انتِ هتقضيها هههههه، اتلمي بقى لما أشوف الهوانم فين.

غادة: أنا أهووووون كنت باعشي العيال.

منار: بالهنا والشفا على قلوبهم حبيبتي.

أسماء: طب فين فريدة؟ وسارة بقى نفسي أكلمها قوي.

غادة: لا أعلم حكيكي.

منار: أهي جاوبتك بالفصحى المدغدغة مش المكسرة.

غادة: هههههه فقر.

منار: ميرسي، بصو هو فرق التوقيت بينْنَا وبين لندن بتاع ساعة ساعتين بالكتير أحيانًا.

أسماء: إيه دا بجد؟

غادة: أيوة صح يا سومة.

منار: زمانها على وصول ما علش إشارات المرور صعبة بين لندن ومصر.

سارة: بخخخخ.

أسماء: حبيبتي حبيبتي حبيبتي يا سارة واحشاني قوي قوي يا ربي.

سارة: حبيبتي سوسو انتِ كمان ميس يو قوي.

غادة: حمد الله على السلامة يا سارة، فينك يا بنتي.

منار: نورت يا باشا والله، عقبال ست فريدة.

كانت فريدة ما زالت تفهم وتتلمس طريقها من شرح عائشة عن كيفية إرسال منشورات وكيفية الرد على الرسائل وهي تشعر بالضياع

والحزن والفرح في نفس الوقت، بالضياع من كم المعلومات الغريبة عليها وعلى عمرها، بالحزن بسبب تعثرها مثل الطفل الصغير وهي من كانت شعلة نشاط أيام دراستها ومحبة للمعرفة لكل مجال، أما الفرحة فالطبع بسبب لقائها المحبب إلى قلبها وإن كان من وراء شاشة صغيرة.

❋ ❋ ❋

هاني

تتصفح منار حسابها الفيس بوكي عندما وجدت منشورًا من فريدة. (انتو فين يا بنات؟).

ضحكت منار وكتبت تعليق، احنا هنا انتِ اللي فين؟

فريدة: أهو لسَّا باحاول اتعلم على البتاع دا، ملل قوي على فكرة.

منار: عشان لسَّا ما حدش عندك يا دوب أنا بعتت لك بس يعني إحنا بنكلم نفسنا دلوقتي، وانا ضِفتك في الشات تعالي هناك.

فريدة: الله، أمال دا إيه؟ مش هو دا شات!

منار: يلالالالاهوي يا فريدة ركزي حبيبتي دا الوول بتاعك، يعني المكان اللي بتكتبي فيه بوستات تنزل لكل الأصدقاء عندك، لكن الشات هادخل اكتب لك فيه يظهر لك وتكتبي.

فريدة: طب والشات دا ما حدش بيشوفه غيرنا؟

منار: بالظبط الشات بقى حاجة خاصة بينا.

فريدة: أنا كان مالي ومال الهم دا؟

منار: -_-.

فريدة: هههههههه الله، حلو الوش دا، ممكن أعمل زيه صح يا موني؟

منار: صح حبيبتي بس دي حاجة لو عرفتِ تعمليها تبقي عمدة.

فريدة: ها ها ها يا سلام يا خفة! المهم هاروح أشوف العيال.

دخل عادل على فريدة وهي مشغولة بالمحادثة مع منار وعلى وجهها ابتسامة.

فريدة، فريدة، صاح عادل.

فريدة: هه، نعم يا عادل انت جيت حمد الله على السلامة.

عادل: أنا جيت؟ لا لسَّا برَّا، فيه إيه؟ أول مرة ما القاكيش مستنياني، بتعملي إيه؟

فريدة مرتبكة: أبدًا باكلم واحدة صاحبتي.

عادل مندهش: بتكلميها فين؟ ومن إمتى ليكِ صحاب؟

فريدة غاضبة: طول عمري ليَّ أصحاب يا عادل بس انتَ عمرك ما سألتني عنهم ولا بتعرف حاجة عني.

عادل رافعًا حاجبه تعجبًا: هو فيه إيه؟؟

فريدة: ما فيش يا عادل عادي باكلم صاحبتي على شات على الفيس.

عادل: نعم؟؟ فيس!

فريدة: أيوة فيس.

عادل: عملتيه إمتى دا؟ وإن شاء الله هتسيبي عيالك وبيتك وهتقعدي عليه؟

فريدة بتحدٍّ: عمري ما سِبت عيالي ولا بيتي يا عادل، طول عمرك بتيجي تلاقي البيت نضيف والأكل معمول والولاد مذاكرين وكل حاجة زي الفل، وأنا قاعدة لوحدي ما حدش بيسأل فيَّ ولا بيعرف عني حاجة، باحب إيه، باكره إيه، إيه ممكن يسعدني، إيه هواياتي، إيه الحاجات المفضلة عندي.

عادل: إيه يا فريدة انتِ عايزة تتخانقي؟ ولا ما صدقتِ، لا أنا مش موافق على الآكونت دا، الغيه.

فريدة: لأ.

عادل: يعني إيه لأ؟

فريدة: يعني لأ يا عادل، أنا ما باعملش غلط، باخلص حاجتي وأولادي بيناموا وبابقى فاضية، باحتاج أتكلم مع حد، يبقى لا خروج

ولا كلام، أنا عايشة لوحدي يا عادل عايشة لوحدي وانتَ ولا هنا، من الشغل للنوم، ومن النوم للنزول للشغل، أنا تعبت.

عادل: احمدي ربنا على نعمة البيت والأولاد والزوج.

فريدة: هو دا اللي فهمته من كلامي؟ إني مش حامدة ربنا! ما فيش فايدة.

عادل: لاااا انتِ مش طبيعية النهار دا.

فريدة: فعلًا انتَ عندك حق، تاكل يا عادل؟

عادل: آه آكل، أحسن من الكلام الفاضي دا، حضري لي العشا على ما أغير.

وذهب إلى غرفته، وهي تنظر له بنظرة لا مبالاة، غضب، حزن، قهر، في الحقيقة لا تعلم، فالمشاعر التي تجتاحها الآن والأحساسيس التي تغمرها لم ولن يفهمها أحد، ولن يطفئ نار قلبها إلا ربها عز وجل؛ فهو وحده القادر على رفع معاناتها وثقل روحها.

* * *

لا بتهرج يا هاني، دا ما كانش اتفاقنا، صاحت سارة في سخط.

هاني زوجها بلا مبالاة: سو وات؟ واتس ذا بروبلم ناو؟ سارة.

سارة: قلت لك مية مرة قبل كدا اتكلم معايا عربي، كفاية طول النهار بنتكلم انجليزي غصب عننا.

هاني: سارة انتِ عايزة إيه دلوقتي؟

سارة: عايزة أرجع مصر.

هاني: وكنا هنرجع فعلًا، بس دلوقتي جات ظروف مش هنعرف نسافر.

سارة بعصبية: لا يا هاني مش هاستحمل ظروف تاني، ما ليش دعوة بالمطعم ولا بشغلك، أقول لك خليك هنا أنا مسافرة أنا وبنتي، ماما وحشتني وأهلي وصحابي، حرام بقى كفاية غربة.

هاني: يييييييه شغل الشحاتين دا، حد طايل اللي انتِ فيه؟ عايشة في لندن ومش عاجبك!

سارة والدموع تلتمع في عينيها: ييجو ياخدوا عيشتي وأروح أخدم أمي يوم، ييجوا يتقطعوا زي ما باتقطع أنا وانتَ كل يوم مع واحدة شكل، ونزواتك حاجة تقرف.

هاني بغضب: لمي لسانك يا سارة وعيب عليكِ.

سارة: عيب؟؟ عليَّ أنا؟ ثم ضحكت ضحكة مجلجلة.

هاني: أيوة عيب تتكلمي مع جوزك بالوقاحة دي، وبعدين نزوات إيه اللي بتتكلمي عنها؟

سارة: لا لا لا العيب بجد إنك تفتكرني هبلة ومش عارفة اللي بتعمله من ورا ضهري، أنا أخبارك بتوصلني من واحدة بتكرهني ولا واحدة عايزة تحتقرني ولا واحدة عايزاك ليها لوحدها ولا ولا ولا، اتقي الله فيَّ بقى، ارحم بنتك اللي بقت عروسة، ما تدمرناش أكتر من كدا.

اقترب منها: يعني بتغيري عليَّ؟

سارة بتوعد: إياك تلمسني، أغير؟ يا ريت غيرة عليك كنت استحملت قعادي معاك؛ لا دي غيرة على ديني وعلى كرامتي، عشان خاطري كفاية كدا بقى يا هاني، طلقني لوجه الله واعمل اللي انتَ عايزه بعدها، حرام عليك والله كدا.

هاني يمسكها من ذراعها بقوة: ما فيش طلاق، انتِ بتاعتي أنا وبس، استحالة أسيبك، انتِ عارفة إني باحبك وما اقدرش أبعد عنك.

نفضت ذراعها من يده: وانا باكرهك، والله باكرهك وقرفت منك، خلاص مش قادرة أستحمل فكرة إنك جوزي وإن إيدك بتيجي عليَّ.

صفعة مدوية على وجهها أوقعتها أرضًا بقوة، ثم صوت حاد كفحيح أفعى يهدر في أذنها.

وأنا مش هاسيبك ولا هارحمك وهتفضلي مراتي، واليوم اللي تفكري فيه إنك تبعدي عني هيبقى التمن أوركيد بنتنا.

وصفق الباب خلفه وهو خارج.

قامت سارة بضعف ذهبت غسلت وجهها بالماء البارد وأوقفت نزف شفتيها، ونظرت إلى صورتها في المرآة، كرهت ملامحها، كرهت جمالها، كرهت كل شيء، ثم صرخت وهي تبكي.

يا رب، يا رب.

* * *

أسماء: تصدق البت آيات جاي لها عريس.

محمد: وإيه الاستغراب في كدا؟ ما طبيعي يا بنتي ييجي لها يوم وتتجوز.

أسماء: ما انا عارفة بس طول عمري باشوفها بنوتْتِي، عشان كدا مش متخيلة إنها كبرت وهتتجوز، عارف يا محمد إن...

وقطعت جملتها عندما وجدت حالها تحدث نفسها بعدما خرج زوجها من غرفتهم مسرعًا إلى التلفاز الذي يعرض مباراة.

خرجت أسماء وراءه: هو أنا مش كنت باكلمك يا محمد؟ سِبتني ومشيت ولا كأني موجودة.

محمد وهو يتابع الشاشة: إيه يا أسماء؟ قلتيلي أختك جا لها عريس، مبروك يا ستي، حاجة تاني؟؟

أسماء: لا ولا حاجة، أنا طهقت.

لم يرد فذهبت إلى غرفتها ثانية وأمسكت هاتفها ترسل لأصدقائها.

إيه دا ما له دا عمال لايكات على كل بوستاتي، حدثت نفسها.

كان هناك شخص ما دخل صفحتها الشخصية ويعجب بكل منشور لها.

أدخل أشوف مين دا؟ لا بلاش أعوذ بالله، كبري، خليه مع نفسه.

إيييييييييه يا بنات، وحشتوني، فينكم؟ أرسلت تلك الرسالة إلى محادثة القنبلة وعاشت في عالمها وحدها كالعادة.

❋ ❋ ❋

فهد

سمعت سارة ابنتها أوركيد تنادي عليها، ركضت على فراشها لتمثيل دور النائمة، فهي لا تريد أن تراها ابنتها بهذا الشكل ولا أن تسألها عن أشياء هي تعلم جوابها جيدًا، بل وتراه أحيانًا كثيرة.

أوركيد: مام، مام، حضرتك هنا؟؟

طرقت باب الغرفة ثم فتحته ودخلت ملست على رأس أمها، وسارة أصدرت بعض الهمهمات كي تقنعها بأنها نائمة.

أوركيد: حبيبتي مامي تصبحي على خير، وقبلتها وخرجت.

ظلت سارة تكتم أنفاسها حتى خرجت أوركيد ثم انفجرت في بكاء آخر مرير وهي تشهق وتضع يدها فوق فمها بألم، بعد وقت ليس بالكثير سمعت صوت هاني ففعلت مثلما فعلت فهي باتت تكره حتى رؤيته.

سمعت فتح الباب ثم خطواته الواثقة تجاهها إلى أن جلس بجانبها على الفراش، وبدأ في اللعب بخصلات شعرها البنية الناعمة.

عايزة تسيبيني يا سارة؟ دا بعدك، عايزاني أسيبك لراجل تاني ياخدك مني؟ ما هو أكيد فيه حد هيحاول يتقرب منك بعد ما اسيبك، حلوة وذكية وست ما تتعوضش، الرجالة تسيبك ليه؟؟ استحالة أسيبك، يبقى يوم موتي يا سارة.

ثم اقترب أكثر بجانب أذنها ثم ردد.

يوم موتي يا سارة، سامعة يا حب عمري؟ قبلها قبلة متملكة.

تململت سارة بين يديه تململ النائم أملًا في أن يتركها وبالفعل تركها وابتعد خارجًا.

انتفضت سارة تمسح شفتيها بقوة كأن لدغها عقرب وهي تحدث نفسها.

كرهتني في كل الرجالة، راجل إيه اللي أروح له برجلي تاني بس أخلص منك، وتهدج صوتها، يا رب ابعد شره ونجاسته عني يا رب.

* * *

غادة: أشرف، قوم يا أشرف لوجين سخنة قوي.

أشرف وهو يفرك عينيه بغية التركيز من النوم: لا حول ولا قوة إلا بالله، طيب اديتيها حاجة؟

غادة: آه وما فيش فايدة.

أشرف يتثاءب: طب هاروح أشوف لها دكتور.

* * *

منار: أيوة يا رحمة طمنيني عليك حبيبتي.

ردت رحمة: الحمد لله يا منار ماشي الحال.

منار: وعلاء؟ ها عامل إيه؟

رحمة: كويس.

منار: وما لك بتقوليها كدا؟!

رحمة: أبدًا أنا تعبانة بس يا منار.

منار: طب حبيبتي فضفضي، احكي.

رحمة: مش عارفة أقول إيه والله يا منار، الكلام مش عارف يوصف حالتي، باكل وباشرب وبانام، والحياة ماشية بس فيه حاجة ناقصة.

منار تتنهد: طيب دا طبيعي بس ممكن تتقربي من ربنا أكتر حبيبتي، والله دا اللي انتِ محتاجاه حاليًّا.

رحمة: ونعم بالله، مش قادرة أعمل حاجة يا منار، حاساني مقيدة مش عايزة أقوم من السرير، مش قادرة على أولادي، عصبية عليهم، مش عارفة أبتسم زي الأول اتكسرت ومش عارفة اتصلح تاني يا منار.

منار: حبيبتي الله يجبر كسرك ويعوضك خير، طب بالله حاولي بس تلجئي لله، كلميه كلميه كدا زي ما بتكلميني، صلي وابكي له من غير تزويق، قولي له كل اللي في قلبك هترتاحي والله، ولو عايزاني أوديك لدكتور نفسي لو حاسة إنك محتاجاه أنا معاك، لا عيب ولا حرام.

رحمة: لا حبيبتي مش للدرجة دي، أنا هابقى كويسة والله شوية كدا.

منار: طيب حبيبتي خدي بالك من نفسك ومن الولاد، ربنا يصلح حالكم.

ثم بكت.

رحمة: منار حبيبتي انتِ بتعيطي! ما لك بس؟ اوعي تكوني فاكرة إن دخل عليَّ هزارك ولعبك معانا يوم ما كنا عند ماما، لأ كان باين عليكِ قوي كسرتك وحزنك، حتى لما عبد الله كان قاعد معانا كان فيه حاجز بينكم، حاجة كدا ما تتشافش لأ؛ تتحس.

منار تكتم شهيقها: الله المستعان يا رحمة، الله المستعان، يلا روحي لأولادك، سلام.

رحمة بأسى: سلام يا منار.

* * *

دخلت غادة المنزل مرهقة لأن أشرف لم يجد طبيبًا في هذا الوقت المتأخر فأخذوا لوجين للمشفى، وكان وقتًا عصيبًا جدًّا؛ لأن بطبيعة الحال الروتين في المستشفيات المصرية وعدم الاعتناء بالمرضى شيء أكيد.

أشرف: هاتي أدهم ولؤي من عند أم محسن يا غادة ليصحوا في وسط الليل ما يلاقوش نفسهم في البيت يعيطوا، مش عايزين نزعج الناس أكتر من كدا كتر خيرهم.

غادة: حاضر ثواني آخد نفسي وأنيم لوجين في أوضتها.

حملت غادة لوجين بصعوبة ووضعتها على فراشها وهي تهدهدها فهي تعلم انزعاج لوجين من الغرباء ومن الخروج عمومًا، وكم خافت من المشفى والأدوية.

يا رب يشفيكِ ويعافيكِ حبيبتي، ما علش حقك عليَّ يا ريتني كنت أقدر أعمل لك أي حاجة أساعدك بيها، يا رب قويني يا رب يا رب.

لوجين: أب، أب.

ضحكت غادة وسط دموعها ورددت معها يا رب وقبلتها وذهبت لتأتي بأولادها من الجيران.

في اليوم التالي بكت غادة حسرة من قلبها لسماعها زوجها يحدث والدته وهي تعلم أنها علمت بمرض ابنتها ولم تكلف نفسها عناء السؤال عنها أو زيارتها، تألمت أكثر لطيبة قلب لوجين وكم تحب جدتها وعماتها عندما تراهم تبتسم وتحاول مناداتهم وهم لم يتقربوا منها يومًا، لكِ الله يا صغيرتي لكِ الله.

* * *

أشعر بالحزن، كتبت أسماء ذلك الشعور على حسابها الفيس بوكي وتحته كلمات من أبيات شعر حزينة مثلها، فاليوم كأس السوبر وهو إعلان لحالة الحظر في بيتها عليها وعلى مالك من محمد، لا تستطيع التحدث أو المرور أمام التلفاز أو حتى سؤاله تناول الطعام معها، فتؤثر المكوث في غرفتها مع ابنها وهاتفها فقط.

فورًا جاء إعجاب لتلك الكلمات، من نفس الرجل الغريب، فهد أسامة، اندهشت أسماء كثيرًا لسرعته في ملاحظته منشوراتها، ولم تعره اهتمامًا أو هكذا أقنعت نفسها.

دخلت على المحادثة الجماعية.

ألووووووووووو. كتبت أسماء.

جاءها الرد من فريدة.

حبيبتي إزيك.

أسماء: ☹ .

فريدة: ما لك بس؟.

أسماء: ماتش السوبر.

فريدة: آاااه قُلتيلي، طيب كبري دماغك خليكِ معانا هنا.

أسماء: ودا الحل يعني؟

فريدة: خلاص قومي شدي سكينة الكهربا.

أسماء: هههههههههههه انتِ بتحبيني قوي، دا يقوم يقتلني.

فريدة: لا بعد الشر حبيبتي.

أسماء: الله فين بقية البنات؟

فريدة: لا أعلم، من الصبح مش باينين.

أسماء: يا سيدي بقيتِ إيه في الفيس وما بتقوميش من عليه.

فريدة: يا اختاااي اسكتي ليسمعك عادل، لاحسن دا واقف لي على الواحدة عشان أسيب التليفون، مع إني والله باحاول ما امسكوش وهو هنا وطبعًا باعمل اللي عليَّ.

أسماء: ما علش حبيبتي همَّ الرجالة كدا غيورين من أي شيء.

فريدة: سبحان الله، اشمعنى احنا ساكتين على الشغل والفيس بتاعهم والكورة ووو.

أسماء: فيرييييي الله يبارك لك مش ناقصة حاليًّا.

فريدة: هههههههه خلاص، طيب لوكا عامل إيه؟

أسماء: أهو قاعد كالعادة لوحده، لو قرب من أبوه يسمع محاضرة، ادخل جوَّا يا حبيبي، أو يا أسماااااااء خدي ابنك.

فريدة: وكلام طنط ومامتك طار؟

أسماء: طار في الهوا شاشي وانتَ ما تدراشي.

منار: يا جاااداااع.

فريدة: أهي منو جت، منورة حبيبتي فينك النهار دا؟

منار: أهو موجودة، انتو وحشتوني.

أسماء: وانتِ قوي، فين سارة وغادة بقى؟

منار: غادة كنت باكلمها الصبح وقالت لي إن لوجين تعبانة قوي سخونية غريبة ولايصة بيها وسارة مش عارفة.

فريدة: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا رب يشفيها، هابقى أكلمها بإذن الله.

أسماء: مش ناويين نتقابل بقى؟

فريدة: :/

منار: أهي لوت بقها الهانم.

أسماء: ما انتِ عرفتِ ظروفها يا منار، ما هو كلنا عندنا كلاكيع وعقد ومطبات وطرق مكسرة.

منار: أعوذ بالله.

فريدة: هههههههه أنا قلت لعادل عايزة أقابلكم طبعًا بص لي حتة بصة وقال لي ييجو هنا أهلًا وسهلًا.

أسماء: :/

فريدة: دورك يا منار تلوي بقك حضرتك.

منار: :/ كتير.

ظللن يتحدثن كثيرًا إلى أن احتاجهن أولادهن أو نظرة أو كلمة من زوج إحداهن تؤلم القلوب أكثر من الصفعات.

* * *

أنا الحمد لله بخير، حضرتك بخير يا أبيه؟ قالت سارة بنبرة حزينة.

أخوها فؤاد على الهاتف: الحمد لله كويسين.

سارة: وعلا والبنات؟

فؤاد: الحمد لله، ما لك صوتك مش عاجبني؟

سارة تتنهد: انتَ عارف ما لي كويس.

فؤاد: تاني يا سارة تاني؟

سارة: تاني وتالت يا أبيه، أنا تعبت وعايزة أرتاح ونفسي أنزل مصر أمي وحشتني.

فؤاد يتأفف: يا سارة ما تخربيش على نفسك، أمك كويسة وبنراعيها من مكانْنَا هنا، هو لازم تنزلي مصر وتضايقي جوزك؟

سارة باستنكار: يا أبيه هو حرام أمي توحشني؟ وبعدين هو خراب البيوت بالطلاق بس؟ والله الخراب خراب القلب الفاضي الصقعان اللي طول عمره مش حاسس بأمان ولا دفا.

فؤاد: يييييي بقى على كلام الروايات الهابطة اللي قلب دماغك دا.

سارة بسخرية: ماهو لو كنت لقيت الكلام الهابط دا في الحقيقة ما كنتش دورت عليه في الروايات للأسف.

فؤاد: من الآخر يا سارة طلاق انسي، مش هيحصل، انتِ عارفة هاني بيحبك قد إيه وبكرة يعقل.

سارة: بكرة إمتى؟ دا تمانية وتلاتين سنة، بنته عروسة، حب إيه دا اللي بالكلام؟ حب إيه اللي كله إهانة؟!

فؤاد: طيب مش تفكري في بنتك العروسة!

سارة: هو أنا بافكر غير فيها، وبعدين أنا زهقت من الغربة عايزة أشوف أمي وأختي واصحابي.

فؤاد: لو على أمي كلميها صوت وصورة زي ما باعمل، ما هي أمي أنا كمان وآديني قاعد في دبي بقا لي قد إيه ومطمن عليها.

سارة: انتَ غيري يا أبيه، أنا بنت، يعني قلبي غير.

فؤاد: بلا غير بلا مش عارف إيه، اسمعي الكلام وحافظي على حياتك وشوفي انتِ بتشتكي من جوزك إنه بيبص برَّا، شوفي ممكن تعملي إيه يخليه يبص جوَّا بس، الأمور في إيدك، مضطر أقفل رايح شغل.

أغلقت سارة الهاتف وظلت تنظر له في يدها قبل أن تضحك، وهي تحدث نفسها.

أحدث أمي صوتًا وصورة! وهل هذا يغني عن الضمة؟ عن بسمتها في عينيها أمامي، عن أني ألامس قدميها لأدفئها بيدي، عن تناول الطعام معها في إناء واحد؟ صوتًا وصورة!

والآن أنا المشكلة، الأمور في يدي، بسببي هاني يعصي الله، وبسببي يضيع في نزواته القذرة، أنا السبب في إهانتي؟ وضياع كرامتي؟ أنا؟ أنا؟ أنا؟

يعتقدون أن المشكلة في تغيير مظهر أو لون جديد أصبغ به شعري؟ أو بعض المساحيق التي ألون بها وجهي مثل المهرج، تغيير وتجميل ملامح الخارج والداخل كما هو قبيح، مظلم، بارد، كقبو مهمل في ليلة شتاء شديدة البرودة.

يعتقدون أن المشكلة في زيادة ابتساماتي على نكاته القديمة، ولا يعلمون كم أود وبشدة الضحك من قلبي في سعادة.

لي الله، أنت وكيلي وأنت تعلم ما بي، فألهمني القدرة والصبر لأواصل التجديف حتى البر من منتصف بحري الهائج.

* * *

جاء لاسماء طلب رسالة، فتحتها دون قبولها وشكرت الله على برنامج الماسنجر وعلى هذا التعديل فيه الذي يتيح لها رؤية رسائل الآخرين ويكون لديها الاختيار في قبولها أو لا، نعم أحيانًا تريد أن تفجر الهاتف بسبب أعطال هذا الماسنجر ولكن لا يهم.

وجدت رسالة من نفس المهتم بمنشوراتها، المدعو فهد أسامة، وفيها لقطة مصورة من منشورها التي تكتب فيه عن شعورها بالحزن وتحته بعض الكلمات ليس إلا.

أبدل الله مكان همك فرحًا، ومكان حزنك سعادة، لا تحزني.

حدثت نفسها، والله ما ناقصاك.

وتركت الهاتف وهي غاضبة.

❋ ❋ ❋

عمري تجاعيد في وجهي،
وألمي علامات في قلبي

مر شهر على الصديقات وأسرهن والحال كما هو عليه مع أزواجهن، ولكن التغيير الذي جعل القلوب تستكين ولو قليلًا تعارفهم على أخبار بعضهن البعض، وتغلغلهن في الذكريات وفي آلام قلوبهن التي تقريبًا تتشابه كثيرًا، موعدهن مساء كن ينتظرنه كانتظار ليلة العيد، كفرحة فتاة صغيرة بدميتها الجديدة، عادوا كالأطفال من جديد، حديثهن وضحكاتهن وبكائهن أحيانًا الذي يجمعهن أصبح كالترياق لأوجاعهن.

في شات القنبلة الحبيب.

فريدة: هههههههه هههههههه يا ربي، انتو عارفين لو عادل جه لقاني قاعدة معاكم تاني هيعمل فيَّ إيه؟!

سارة: يا بنتي هيعمل إيه يعني؟ هيدخل ياكل وينام.

فريدة: اه بس بعد ما يقول لي كلمتيني كل يوم، هو انتِ برضه مش هتنامي؟ سيبي التليفون بقى، وراكِ صحيان بدري، الأولاد، المدرسة، الفيس اللي جا لنا على كبر دا.

منار: كبر! دا احنا اللي قدنا ما اتجوزوش يا حبيبتي.

غادة: يا حبيبتي ما هم الرجالة طبيعي بيشوفوا الست بتكبر، لكن هما أي تغيير فيهم مرفوض، كرش بقى شعر أبيض أي حاجة.

سارة: عارفين هنا في لندن الوضع غير، الراجل بيساعد مراته وهي لازم تروح تظبط نفسها في الكوافير والمنتجعات الصحية، وحتى لو عندها أولاد لازم يوم ليها راحة وهو يقوم بيه، وكمان مرة هي تقوم بالليل ومرة هو لما بيكون البيبي لسَّا مولود ومحتاج رعاية مكثفة، اسكتوا يا بنات الست مصرية جامدة والله وقوية.

أسماء: بخخخخ، أنا جيت، وقريت اللي كاتباه سارة يا ريت نبلكها جمعاء يا بنات.

منار: هههههههههه موافقة، انتِ كدا هتقلبينا عليهم أكتر يا سرسوورة.

سارة: لا والله ما اقصدش، ما هو برضه فيه رجالة من عنفها مع الستات هنا بيحصل جرايم، المقصد إن كل بلد فيها وفيها، بس زي رجالة مصر ما شفتش.

منار: بس إحقاقًا للحق إلا من رحم ربي، فيه رجالة عايزة تتشال فوق الراس.

غادة: عارفين من خلال كلامنا وكل واحدة لما حكت مشكلتها إيه الشيء المشترك بينْنَا؟

فريدة: أقول لك أنا، إننا بنحبهم مش بنكرههم، وهمَّ بيقولوا إنهم بيحبونا جدًّا، ودا بنحسه ساعات، بس لا أفعال ولا أحيانًا أقوال كمان، طب هنحس بحبهم إمتى؟ في الجنة!

غادة: بالظبط يا فريدة، همَّ مش وحشين للدرجة اللي تخلينا نكرههم، بس الإهمال زاد، إهمال القلب وإهمال السؤال وإهمال كل حاجة.

سارة: هههههه ما عدا أنا، أنا بطلت أحب هاني من زمااااان.

أسماء: الإهمال وحش قوي فعلًا بيخلي الواحدة ضعيفة جدًّا وحساسة قوي.

منار: يا حبيبتي يا سارة والله قلبي واجعني عليكِ بالذات عشان بعيدة، حتى مش جنبنا ولا جنب ناسك وأهلك.

سارة: ☹ عارفة إنكو حاسين بيَّ يا بنات، الله يجمعنا على خير.

فريدة: أنا هاقوم يا بنات، عادل قرب ييجي.

أسماء: هههههه يلا يا جبانة.

فريدة: اخرسي هههههههه.

أسماء: يا بنات فيه أكونت بتاع واحد اسمه فهد واجع نفوخي بقاله شهر، يعمل سكرين شوت لبوستاتي لو قلت أنا تعبانة يقول لي ألف سلامة وكلامه بالشعر وحاجة ما اقلكوش، لو قلت حزينة هوب يديني بيتين، ودايمًا لايكات أول ما انزل حاجة، وباعت طلب صداقة طبعًا، ألغيه يبعت، ألغيه يبعت، وصفحته مليانة كلام عن مشاعر الست ونفسيتها وازاي لازم نهتم بيها ووو.

منار: طب ما هو يا هبلة طبيعي إنه يعمل كدا؛ لأن في إيدك البلوك ففهم إنك عايزاه يفضل يبعت كدا، وبعدين داخلة تقلبي في صفحته ليه؟ يخرب بيت فضول الستات هههههه.

ارتبكت أسماء كثيرًا فهي تعلم أن حديثه أشعرها بالاهتمام، ولكن هي لم تحادثه قط ولم تقبل طلب صداقته ولا طلب رسائله، فقط تقرأها لها هي فقط.

أسماء: لا وادي له اهتمام بالبلوك ليه أصلًا؟! خليه مع نفسه هو حتى مش عارف أنا باقرا رسايله ولا ولأ.

غادة: أيوة حبيبتي هو مش عارف بس انتِ بتقريها، ودا مش صح لقلبك أبدًا.

سألت أسماء وهي تعلم الإجابة جيدًا.

مش صح، لقلبي ازاي؟ كتبت أسماء.

ردت منار: عشان إحنا ضعاف قوي يا سومة، أي حاجة تأثر فينا وعندنا نقص كمان جوَّا قلوبنا، فليه نعمل نفسنا أبطال وندخل باب فتنة برجلينا ونرجع نندم، بعد الشر عليكِ طبعًا واحنا بنقول لك كدا لأننا خايفين عليكِ، لكن عارفين إنك تفوتي في الحديد، بس مش صح.

غادة: بس ما علش برضه يا منار نبعد عن الشر ونغني له، الفيس دا مرتع لأمراض القلوب والله ربنا يعافينا، وما تعرفيش مين الصادق من الكاذب ولا الحقيقي من المزيف.

أسماء: باقولكوا إيه، ما توجعوش دماغي هابلكه وخلاص.

غادة: حبيبتي ما تزعليش مننا، الله يحفظك، يلا يا بنات هاروح أطمن على لوجي الله يعافيها، البنت غريبة وتعبانة بقالها شهر ما بتلحقش تفوق من التعب، دعواتكم.

منار: يا حبيبتي يا لوجي ألف سلامة، روحي حبيبتي الله يعينك.

أسماء: ألف سلامة يا حبيبتي عليها، هي فين سارة اختفت فين؟

منار: مش عارفة يمكن جوزها جه هي كمان، انتِ عارفة بيغير عليها قد إيه.

كانت سارة في مشاجرة أخرى بينها وبين هاني.

يعني إيه مش عايزة تروحي؟ صاح هاني.

سارة: يعني مش عايزة أخرج يا هاني لا حفلة ولا غيره روح انتَ.

هاني بشك: ليه بقى بقالك فترة مش عاجباني وبتعدي على المخروب التليفون كتير، دا انتِ كنتِ بتقولي على الفيس ملل وما لوش لازمة، إيه اللي جرى لك يا هانم.

سارة: وما زلت شايفاه كدا، بس صاحباتي اللي بيهونوا عليَّ غربتي بنكلم بعض فبارتاح، إيه المشكلة؟

هاني: بترتاحي من إيه؟ هو انتِ في السجن!

سارة مبتسمة بسخرية: لا حاشا لله.

صرخ هاني: سارة باقول لك إيه، ما تطلعيش عفاريتي.

سارة: إيه هتضربني تاني يا هاني؟

هاني يقترب منها: يا سارة أنا باحبك، ما اقدرش أشوفك زعلانة كدا، إيه اللي يريحك؟

همت بالحديث فعاجلها بكلامته مسرعًا.

إلا إنك تسافري مصر وتسيبيني.

نظرت له سارة بحزن: يبقى ما فيش شيء يريحني، شوف انتَ هتخرج فين يا هاني سيبني أنا هانام.

هاني يحتضنها رغمًا عنها: ريحي بس وارجع ألاقيكِ مستنياني ويا ريت تلبسي اللانجيري اللي جبتهولك ومن ساعتها مرمي في الدولاب ماشي حبيبتي.

تململت سارة بحنق: طيب، روح عشان ما تتأخرش بقى.

هاني: باي، آي لاف يو.

سارة أومأت رأسها ببرود وذهبت إلى الحمام لتهدأ تحت المياه الباردة علها تطفئ نارها.

* * *

منووو بتعملي إيه؟ قال عبد الله لمنار وهي في المطبخ.

منار مبتسمة: انتَ جيت يا حبيبي؟

عبد الله: لا لسَّا برَّا.

منار تلكزه في كتفه: ها ها خفيف قوي، طيب أنا أقول لك إيه بقى؟ هاكون بعمل إيه؟ باخد دش، باطبخ.

عبد الله يلكزها في كتفها تقليدًا لها.

ها ها أخف مني.

منار بثقة مضحكة: طبعًا.

عبد الله: ريحته جميلة، إيه دا بقى؟

منار: دي مقلوبة يا بودي.

عبد الله: الله! باحبها، تصدقي، بلال بيحبها وبيعملها دايمًا بنفسه وبتطلع تحفة.

وضعت منار السكين من يدها بقوة على طاولة المطبخ محدثة جلبة، وحاولت أن تتحدث بهدوء.

طيب لما انتَ حبيتها ما قلتش ليه يا حبيبي وأنا أعملها لك؟

عبد الله: كنت باكلها هناك وخلاص، المهم هاروح أريح ساعة على ما تخلصي.

أومأت منار برأسها وبعدما خرج زوجها حدثت نفسها كالمعتوهة.

بلال بلال بلال، بلال عمل، بلال سوى، بلال طبخ، بلال بيحب الأكل الفلاني، بلال قال لي وحكى لي، ناقص يقول لي بلال جاي يبات معانا، أووووف.

* * *

نظرت أسماء لمحمد وهو يمسك هاتفه وهم على طاولة الطعام، وتنهدت وبدأت في إطعام صغيرها.

محمد ممكن تسيب التليفون عشان ناكل مع بعض؟

محمد دون أن يرفع وجهه إليها: حاضر ثواني بس.

أسماء: مالك النهار دا كان شطور قوي يا بابا في الحضانة، والميس أعطته نجمة على إيده.

مالك: أنا شطور يا ماما قوي قوي.

محمد دون رفع رأسه كأنه ولد هكذا.

والله؟ براڤـو.

أسماء في محاولة أخرى: ماما وخالتو بيفكروا يروحوا عمرة مع بعض.

أومأ محمد برأسه وابتسم وصمت.

أسماء: شبعت يا لوكا؟

مالك: آه يا ماما.

أسماء: طيب اتفضل على أوضتك عشان نعمل الواجب حبيبي.

راقبت صغيرها وهو يذهب.

أسماء: محمد، محمد، محماااد.

محمد: إيه يا أسماء؟ هو أنا في تاني بلد!

أسماء: لا انتَ في مكان ولا أعرفه أصلًا، الولد بيكلم فيك وانا باحكي لك عن يومه ويومي وانتَ ولا هنا.

محمد: طيب ما انا قلت شطور وبراڤـو، أعمل إيه؟ أقوم اتحزم!

أسماء: لأ، بس تهتم.

محمد: حاضر هاهتم.

أسماء تحاول تهدئة الأجواء: ما تيجي النهار دا نخرج، نروح جنينة ولا ملاهي أو نتعشى برَّا، مالك بقاله كتير ما خرجش.

محمد: ممم مش فاضي ما علش ورايا مشوار مهم.

أسماء تلوي فمها: مشوار فين؟ الكافيه؟ للماتش.

محمد مرتبك: آه، مش عارف لسَّا هنتقابل فين؟

أسماء تنظر له بفراغ ثم تذهب إلى ابنها.

بعد أن نام ابنها مالك ومحمد لم يعد بعد، صوت من الهاتف يخبرها بوصول رسالة أخرى من المدعو فهد.

من فضلك اقبلي طلب الصداقة، طيب ردي عليَّ، أنا مش عايز حاجة غير إننا نتكلم، أنا حاسس بيكِ دايمًا زعلانة وحزينة ومشغول بالك، ما لك؟ احكي لي يمكن أساعدك ونكون أصحاب، تعرفي أنا أعرف عنك كتير، بتحبي القهوة معاها شيكولاتة دارك، بتحبي الورد

الأصفر، بتسمعي أم كلثوم كتير خصوصًا أغنية انت عمري، بتحبي تراقبي شروق الشمس دايمًا، بتحبي تقري قصص الرعب بالذات، وحاجات تانية كتير تابعتك فيها، يا ريت نكون أصحاب، مش عايز أكتر من كدا.

ذرفت عيناها الدمع على حالها بحزن، فهذا المدعو فهد يعلم عنها من مجرد منشورات على موقع يُعرف عنه أنه مجرد مكان للتسلية ومن خلف الشاشات تطل أيادي فقط للكتابة، ولا أحد فيه يعلم عن الآخر أشياء كثيرة، لكنه يعرف حقيقة مشاعرها أكثر مما يعلم عنها محمد زوجها وحبيبها الذي يعرفها ويعيش معها لسنوات وسنوات.

يا رب أبعد عني السوء فأنت أعلم بي وبحالي، وظلت تبكي إلى أن نامت.

* * *

راقبت غادة زوجها أشرف وهو يرد على رنين هاتفه.

أيوة يا أمي، الحمد لله حبيبتي، لا مش هينفع النهار دا احتمال أروح بلوجين لدكتور تاني، ثم نظر لأعلى طلبًا للصبر أو هكذا بدا لها.

يا أمي ما هي روح ولازم نشوف ما لها، البنت مش عارفين هي تعبانة من إيه، مصاريف إيه يا أمي بس هو أنا لو تعبت مش هتجري عليَّ؟ بعد الشر عنك يا ست الحبايب، حاضر هاقول لها، سلام ماشي، سلا، سلا، حاضر يا أمي والله هاقول لها.

غادة تتنهد: فيه حاجة يا أشرف؟

أشرف: لا أبدًا، ماما بتسأل على لوجين عاملة إيه.

غادة بسخرية: عشان كدا قلقانة على المصاريف مش على البنت المريضة؟

أشرف بانزعاج: غادة قفلي على الموضوع دا.

غادة: ماشي، هاقفِّل، نازل؟

أشرف بتأفف: آه بعد إذنك.

غادة: طيب ممكن تناولني بامبرز للؤي من الأوضة على ما أشطفه؟

أشرف: طيب ما اقعد أرضعه أحسن.

غادة بغضب: لا ما هو اتفطم.

أشرف في تجاهل لغضبها: ماما بتقول لك محتاجاكِ ضروري بكرة تساعديها في حاجات في البيت.

غادة لا تصدق: طيب ومنى فين وأميرة؟ يا أشرف دا أنا مسحولة بين العيال والبنت المريضة دي مش عارفة حتى أشوفك ولا أقعد معاك، ولا حد بيساعدني ولا بيهتم أنا فيَّ إيه، أنا تعبت والله.

أشرف: إيييه يا غادة، كل دا عشان ماما اللي في مقام والدتك الله يرحمها ولا أكبر منها كمان طالبة مساعدتك! يا شيخة الله يقويها وما تطلبش من حد حاجة.

غادة: يا أشرف أنا ما اعترضتش بس اليومين دول مش عارفة آخد نفسي انت عارف لوجين لما بتكون تعبانة بتكون حالتها ازاي.

أشرف يشير إليها بيده في عدم اهتمام لتصمت.

بس بس كفاية خلاص أنا نازل، شكرًا جدًّا.

خرج وتركها ظلت تستغفر لتهدأ.

* * *

بعد أسبوع من تلك الأحداث استيقظت سارة قلقة من كابوس مرعب صارخة.

أمي أمي، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يا رب خير يا رب، وتفلت عن يسارها ثلاثًا وقامت تشرب بعض من الماء.

دخل هاني: فيه إيه يا سارة بتصرخي ليه كدا؟

اقترب منها فاقتحمت رائحة عطر نسائي إلى أنفاسها كادت أن تتقيأ.

صاحت سارة: ابعد يا هاني، ابعد.

هاني: فيه إيه؟ هو أنا جربان ولا ما باستحماش!

سارة بمرارة: لا بتستحمى، ويا ريت تدخل تستحمى دلوقتي من سهرتك اللي جاي منها.

نظر لها نظرة غضب وذهب للاغتسال.

تذكرت الكابوس.

يا رب يا أمي تكوني بخير، يا رب أشوفك عن قريب يا حبيبتي، يا رب ابعد عنها الشر يا رب.

رن هاتفها بنغمة مخصصة لهاتف أختها.

انتفضت في خوف وأمسكت به وهي مرتعبة.

سلام عليكم.

أختها تبكي: البقاء لله يا سارة، ماما يا سارة خلاص، ماما يا سارة ماماااااااا.

سارة تتركت الهاتف يقع من يدها وبكت دون صوت حتى خرج زوجها من الحمام.

هاني: إيه دا؟؟ ما لك بتعيطي ليه؟ سارة، سارة ردي عليَّ، مين اللي كان بيتصل؟؟

نظرت له سارة نظرة كلها كره وغل وحقد، لم تره زوجها الوسيم، لم تره والد ابنتها الوحيدة، فقط رأت غولًا شريرًا بأنياب بل بقرون، زادت وتيرة تنفسها والدموع لم تجف بل زادت، ثم صرخت وهي تدفعه بقوة ليسقط أرضًا.

ماما ماااااااااتت، ارتحت؟ ماما رااااااااااااحت خلاص، كنت بابوس رجلك تسيبني أشوفها، أحضنها، طب أعيط في حجرها، خلاص ارتاح بقى، ربنا ينتقم منك، ربنا ينتقم منك، آاااااااااااه يا أمي آاااااااه يا حبيبتي.

فتحت أوركيد باب الغرفة مرتعبة من صوت أمها، لأول مرة تسمعها تصيح وتبكي هكذا.

أوركيد: ماما! في إيه بابا؟

هاني يبتلع ريقه بصعوبة: تيتة توفت يا أوركيد.

شهقت أوركيد وهي تضع يدها على فمها ودمعت عيناها، فهي كانت تحب جدتها كثيرًا وكانت تشتاق أن تراها قريبًا.

ذهبت احتضنت والدتها وظلت تهدهدها كطفلتها لا كأمها.

نظرت سارة إلى هاني بعيون حمراء وأنفاس متهدجة.

لازم انزل مصر حالًا، ثم صرخت به.

شوف لي أقرب تذكرة بسرعة، عايزة أشوف أمي قبل الدفنة، عايزة أضمها لصدري لآخر مرة، انتَ سامع؟ مش هاقعد دقيقة واحدة هنا تاني.

أومأ هاني رأسه المنكسة ثم خرج بعد أن أخذ ملابسه.

أمي يا أوركيد، أمي حبيبتي يا أوركيد، أمي أمي أمي.

ظلت تردد سارة في مرارة وحزن لا مثيل لهما، فقد شعرت بالضياع، بالعزلة، بالطعن في قلبها، وأقسمت داخلها لقد زاد كرهي لك يا هاني أضعافًا مضاعفة، وسأنتقم.

❋ ❋ ❋

فراق

مشهد مؤلم يتشح فيه الجميع بالسواد، غادة، أسماء، منار، فريدة، وبالطبع سارة بجانبها أوركيد وأختها الكبرى رشا، ولسان حالهن ينوح، كنا نريد التجمع وتذكر كل ما فات ونحن زهرات صغيرات، والحكي أيضًا في كل ما حدث لنا ولقلوبنا منذ أن تفرقنا، حسنًا لقد حصلنا على ما أردنا يومًا، رأينا بعضنا البعض، تشابكنا بالأيدي والأحضان والقلوب، بكينا كثيرًا كما لم نبك قبلًا، ولكن في ظرف كنا نتمنى أن يكون غير ذلك، كانت فريدة وغادة أكثر من يشعرن بألم سارة فأمهاتهن توفاهن الله منذ زمن، فهذا المشهد لم يكن جديدًا عليهن، بل كان مؤلمًا، ولكنهن حمدن الله أن وقت الوداع كن بجانب أمهاتهن، شعرن بهن، خدمهن وبقين تحت أرجلهن، لكن سارة يا وجع قلبها كانت بعيدة جدًّا، مجبورة على الابتعاد، مقهورة به، كل هذا الحديث كان يدور ويدور في عقول الجالسات، فالعقل يعمل، واللسان صامت، والعين دامعة، والوجوه معلنة الحداد.

فريدة تربت على يد سارة برفق: حبيبتي أعمل لك حاجة تشربيها؟

تنظر لها سارة بفراغ ودموعها على وجنتيها تجري في صمت وتنفي بهزة من رأسها وهي تشد على يد صديقتها طالبة العون.

منار في أذن غادة: اهدي يا غادة يا حبيبتي كفاية عياط، احنا عايزين نهون عليها كدا نتعبها زيادة، وانتِ مش ناقصة اللي فيكِ مكفيكِ.

غادة تمسح عينيها بكفها: مش قادرة والله يا منار، قلبي واجعني بشكل! زعلانة قوي قوي عشانها، وبافتكر كل كلمة قالتها لنا عن شوقها ومحايلتها لجوزها يسيبها تيجي تشبع من المرحومة، وبافتكر أمي ومرضها وفراقها، ثم ابتسمت بسخرية واستطردت في ألم: وبافتكر وصيتها لأشرف إنه ياخد باله مني، وإني يتيمة الأب وهي حاسة إني هابقى يتيمة الأم قريب، وإن هو هيبقالي الأب والأم والزوج والسند وحاجات كتير قوي، آاااااه من الدنيا وعمايلها فينا، لا حول ولا قوة إلا بالله.

تدخلت أسماء: استغفري الله يا غادة كدا، إيه يا بنتي هتجيبي كله فوق دماغك هتمرضي نفسك والله، مش كدا يا حبيبتي كله مقدر ومكتوب.

غادة: الحمد لله، الله يرزقنا الصبر.

رشا: تسلم رجليكم يا بنات لولا الظرف اللي احنا فيه كنت هاكون فرحانة قوي بشوفتكم، الله ما يجيب لكم حاجة وحشة.

فريدة: البقاء لله يا حبيبتي الله يصبركم ويرحمها ويغفر لها.

غادة: طيب أنا مضطرة أمشي يا بنات، الأولاد مع أشرف لوحده.

رشا: لا يا حبيبتي كتر خيرك والله، قومي شوفي حالك ربنا معاك.

منار: هنبقى نيجي تاني بإذن الله يا سارة، شدي حيلك.

سارة: شكرًا يا بنات.

أسماء: شكرًا على إيه بس؟! يا ريت نقدر نخفف عليكِ يا غالية.

بعد الوداع والسلام خرجن ورشا معهن إلى خارج المنزل.

فريدة: رشا، خليكِ جنبها أنا قلقانة عليها قوي.

رشا تتنهد: ما تخافيش حبيبتي أنا بايتة معاها كام يوم مش هاسيبها.

منار: أمال فين جوزها ما جاش؟

رشا: لا نزل معاها من إنجلترا، وكانت مش عايزاه يحضر العزا، لكن قلت لها ما ينفعش، الناس تقول إيه، هو قاعد مع الرجالة في الدور

اللي تحت، فؤاد لسَّا جاي من دبي هو كمان، يا دوب وصل مراته وبناته شقتهم.

فريدة: لا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله حبيبتي كل أمر ربي خير والله، الله يصبركم ويعينكم.

رشا: الله المستعان، يلا عشان ما تتأخروش أكتر من كدا، سلام يا فريدة، اهدي يا غادة يا حبيبتي، سلمي لي على الأولاد يا منار وعلى مالك يا أسماء.

ذهبت كل منهن إلى بيتها وهي محملة بقدر من الذكريات، وبكم من الحزن يُوجِع القلب ويعصره ألمًا.

* * *

ما لك؟ شكلك زعلانة، حاسك حزينة، قولي لي، فضفضي لي، انتِ ما بتعمليش صورة البروفايل دي إلا لما تكوني من جواكِ ألم مش قادرة عليه.

قرأت أسماء رسالة فهد وهي تكاد لا ترى شاشة هاتفها من دموعها التي تجري أنهارًا.

دخل محمد فجأة عليها.

إيه دا ما لك؟ قال محمد بهدوء.

أسماء يعلو نحيبها.

محمد: فيه إيه يا بنتي؟

نظرت له أسماء لم تعلم بما تجيبه، هل هي تبكي من أحداث اليوم المؤلمة، أم تبكي من رسالة فهد ورغبتها في الرد عليه، أم لبروده الآن؟ فهي كل ما اشتاقته حالًا وبشدة ضمة منه تفرغ فيها كل تساؤلاتها تلك وكل همومها وعذابها وألمها، هل تجري عليه مثلما اعتادت أن تفعل كلما أحزن قلبها شيء؟ لمَ لا تفعل؟؟ اندهشت كثيرًا من نفسها، ففي مواقف أقل من تلك كانت تهرب إليه مباشرة، أينعم لم تكن تلقى الرد الذي طالما أرادته؛ ولكنها كانت ترغمه على أخذها بين ذراعيه، كان يتململ منها بعد هنيهة ولكنها كانت تبقيه رغمًا عنه بين أحضانها، يا بشر هل هذا حرام؟ هل هو عيب؟ هذا حقي والله حقي الذي شرعه الله لي، لم في تلك اللحظة لا أرغب هذا الحق؛ بل الثلج يحتل قلبي بدلًا من حرارة حبه! حدثت نفسها بكل تلك الأسئلة، ونزعها من شرودها صياح محمد فيها.

إيه يا أسماء؟ باصالي كدا ليه؟ ما تنطقي فيه إيه.

أسماء تبتلع ريقها بصعوبة وترد بخفوت.

أنا قايلة لك يا محمد إني راحة عزا والدة صاحبتي، لسَّا راجعة وتعبانة شوية.

محمد يزفر: صدق اللي قال ناقصات عقل، إيه يا أسماء بتموتي في النكد؟ ما كلنا هنموت، والله يطول لنا في عمر ماما وخالتي، قومي قومي اغسلي وشك وحضري لي حاجة آكلها أنا جعان.

وخرج وهو يتمتم بكلمات عصبية مبهمة سمعت منها، ستات صحيح.

قامت وفعلت مثلما قال، غسلت وجهها، واتصلت بوالدتها اطمأنت على مالك وبدأت في تحضير الطعام، وأكثر ما يشغلها هو كيف سيطرت على مشاعرها تجاه محمد، كيف لم تنهَر ولم تصرخ؟! كيف هي هادئة وجرح قلبها لايؤلها كثيرًا، كيف لم يعد فارقًا؟!

* * *

منار: يا عبد الله الولد سخن من الصبح بس واديته دش وخافض للحرارة مش بقاله كتير يعني، وهنا الحمد لله بقت أحسن عادي تقلب

الجو دا يعمل كدا في الأطفال، وأنا في نيتي أوديهم للدكتور بس تعبانة والله ما تاخدهم انتَ.

عبد الله: برضه المفروض تنتبهي عليهم أكتر من كدا، ولو قادر كنت وديتهم، بس تعبان جدًّا والله.

منار: يا عبد الله أنا من الصبح واقفة على رجلي وباسيطر عليهم بالعافية، دول تاعبينْني جدًّا، خدهم مرة، مرة واحدة للدكتور بتاعهم.

عبد الله: مش هاعرف أقول له إيه.

منار: أول ما تدخله كلمني فون واديهوني هاقول له أنا.

عبد الله: طب خليهم بكرة.

منار: إزاي يعني؟ معاذ حرارته رجعت تاني، وانا باخاف من السخونية، ما اقدرش.

نظر لها عبد الله في صمت.

منار تتنهد: خليك يا عبد الله خلاص، هاروح بأولادي للدكتور.

ذهبت للدكتور واطمأنت عليهم وابتاعت بعض الأشياء أيضًا للعشاء والإفطار، لأنها تعلم جيدًا أنه لن يتحرك ليأتي بتلك الأشياء

حتى من متجره هو، فآثرت إنهاء أي مشاحنات قبل أن تبدأ راحة لبالها وقلبها هي.

حين دخلت شقتها ألقت بنفسها على السرير من الإرهاق، بعد أن وضعت معاذ في فراشه فهو نام على ذراعها طوال الطريق من تعبه.

هنا حبيبتي، ادخلي غيري هدومك على ما آجي لك، قالت منار.

هنا: أنا عايزة أنام يا ماما بقى مش قادرة.

منار: لا إله إلا الله، يا بنتي اسمعي الكلام من مرة واحدة، أنا تعبت بقى.

عبد الله يخرج من غرفته: إيه يا منار بتزعقي ليه؟

منار: قول للبنت حاجة، مش عايزة تسمع الكلام وأنا خلاص جبت آخري من المناهدة والرغي معاهم.

عبد الله: طب بس بس اهدي، يلا يا هنونة من فضلك اسمعي كلام ماما.

ذهبت هنا إلى غرفتها مرغمة متأففة.

عبد الله: ما تقومي يا منار غيري انتِ كمان، هتفضلي قاعدة كدا! إيه الكسل دا؟

منار: كسل! كسل؟! لا بجد.

أنقذه منها رنين هاتفه.

ألو، إيه يا كابتن، أيوة يا كبير، طبعًا أمال إيه، خلاص مسافة السكة.

دخل غرفته يتأنق وخرج دون حتى إلقاء كلمة شكر أو مواساة لها.

منار غير مصدقة: انتَ خارج!!!!

عبد الله: هه، آه خارج عايزة حاجة؟

منار: رايح لبلال؟

عبد الله: آه لسَّا راجع من السفر ولازم أروح أشوفه.

منار فقط صامتة.

عبد الله يبتسم بارتباك: خلاص بقى يا منو، يرسل لها قبلة في الهواء ويذهب.

ظلت جالسة مكانها لا تدري كم من الوقت مر عليها، وهي ما زالت بملابسها لا تبكي، لا يرف لها جفن، لا تعلم ما شعورها.

أخيرًا قامت ووجدت ابنتها نامت فدثرتها، ذهبت بدلت ملابسها نامت في فراشها وهي تحدق في الظلام في سقف غرفتها إلى أن سمعت

أقدامه حوالي الساعة الثامنة صباحًا، وجدها مستيقظة لم يبالِ بشرح أو اعتذار؛ بل طلبها ويا للغرابة، تركته يأخذها فهي لم تعد تشعر بشيء، لم تعد تشعر بشيء أبدًا.

❋ ❋ ❋

صقيع القلب

فريدة: ألف ألف مبروووك يا حبيبتي، الله أكبر، اللهم بارك.

الله يتم عليكِ نعمه دايمًا، يااااه! والله لو عارفة أزغرد كنت عملتها.

جنة: إحنا نزغرد يا ماما، يلا يا بيبة معايا.

لولوولوووووولييييي.

ضحكت فريدة بشدة: بس يا مجنونة انتِ وهي، النهار دا هاعمل لكم حفلة وهاطبخ كل اللي تحبوه، وهاعمل كل الحلو اللي عايزينه.

حبيبة: طب ما نخرج يا مامااا بقى.

عائشة: آه يا أمي يا ريت، أنا مبسوطة قوي قوي.

فريدة: مممم طب استنوا أتصل ببابا أفرحه.

انتظرت رنين الهاتف ينتهي.

سلام عليكم، أيوة يا حبيبي، حزر فزر فيه خبر حلو قوي عن عائش، ارتبكت فريدة من لهجة عادل الصارمة بأن الوقت ليس مناسبًا أبدًا لألعابها السخيفة.

آسفة يا عادل، أصل عائشة ختمت حفظ وهتتكرم بإذن الله يوم الجمعة وتاخد جايزة، وكنت فرحانة وحبيت أفرحك معانا، الله يبارك فيك، آه كنت عايزة آخدهم واخرج نتغدى برَّا بعد إذنك، ليه يا عادل؟ ما هو انتَ مش بتفضى ودي مناسبة ما ينفعش تتأجل، خلاص، طب خلاص، ما هو على طول مش فاضي، ألو؟ ألو، عادل!

أغلق الخط دون كلمة أخرى، حمدت ربها أن عائشة وحبيبة وجنة ذهبون ليبدلن ملابسهن تحضيرًا للخروج وشادي في درس.

عائشة: ها يا مامتي قال لك إيه؟

فريدة مبتسمة رغمًا عنها: خرم ودني يا حبيبتي من فرحته وبعدين كان في اجتماع واللي حواليه اتخضوا من ضحكته اللي جلجلت ووافق نخرج، وهيجيب لك هدية كبيرة قوي.

عائشة في شك: بجد يا ماما؟

فريدة: آه يا قلب يا ماما يا أميرة النهار دا، آاااه.

عائشة في خوف: ما لك يا أمي؟

فريدة: ما فيش يا حبيبتي صداع كالعادة، ما اعرفش ضغطي ولا إيه، يلا هاروح ألبس.

عائشة بحنان: لا يا حبيبتي خلاص مش لازم نخرج دلوقتي، حضرتك تعبانة.

فريدة: لا إزاي بس؟

عائشة تقبل وجنة أمها: زي ما باقول لك كدا، عادي تتأجل، حضرتك شكلك تعبانة فعلًا.

فريدة: يا حبيبتي ربنا يبارك لي فيكِ، بس حبيبة وجنة مش هيزعلوا؟

عائشة تغمز لها: سيبيهم عليَّ دول.

ذهبت فريدة لغرفتها باكية فهي لم تعتَد الكذب، ولكنه أرغمها، بالفعل رأسها يؤلمها كثيرًا ولكنها كانت تستطيع الخروج، ولكنه لم يأذن لها، لماذا تفعل بي هذا يا عادل؟! من أين أتيت بتلك القسوة؟! أولادنا كبروا وكبرت عقولهم لا تستخف بعقولنا أرجوك، لا تستخف بمشاعرنا، حقوقنا، واجبك تجاهنا، كل حياتنا، أتوسل إليك، عد إلينا قبل فوات الأوان، هذا حديث تود كثيرًا لو تخبره إياه.

ولكنه بالطبع كان داخل رأسها فقط.

ولكن هل أراه لأخبره؟!

ردت على سؤالها بنفسها.

هل هذه حجتك يا فريدة؟!

تلك ليست حجة؛ هذا واقع.

بل هذا جبنك.

لست جبانة.

بل أنتِ كذلك.

نعم أنا كذلك.

صمتت عن الصراع المجنون بينها وبين نفسها لتبكي وتنام.

* * *

غادة ما زالت في دوامة إرهاقها مع زوجها، أولادها، حماتها، أخوات زوجها أيضًا، لم تعد تبتسم، لم تعد تشتكي، تعمل كالآلة فقط، هو يرى ما بها ويعلمه جيدًا ولا يكلف نفسه عناء مواساتها أو مساعدتها، فهو يعلم آخر ما تفعله لو فكرت في الغضب أو قول لا، بكلمة منه تعود إليه، فهو يقبض على صك حبها له في يديه بقوة، ومن أمن العقوبة أساء الأدب كما يقولون.

يزداد تعب ابنتها والأطباء كالعادة كل طبيب بكلمة وتشخيص، وهي لا تملك إلا الدعاء والذهاب للجلسات والأطباء.

* * *

أهلًا يا هاني اتفضل، قالت رشا باقتضاب.

هاني وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء: شكرًا، فين سارة؟

رشا: تعبانة ونايمة.

هاني: طيب ممكن تصحيها لي.

رشا: ما علش ممكن تخليها نايمة، أنا ما صدقت تنام والدكتور اداها حقنة مهدئ عشان تعرف تنام.

هاني: طيب لما تصحى حد يقول لي أنا مش عارف أشوفها من ساعة ما جينا، وحجزت التذاكر كمان ولازم نسافر نشوف مصالحنا.

رشا: نعم؟ تذاكر! سيبها قاعدة شوية يا هاني، على الأقل تكون انتَ زرت أهلك براحتك برضه.

هاني بضحكة مجلجلة: فعلًا؟ يعني هي الهانم مش معرفاكِ إن أهلي مقاطعينْنِي؟

رشا ترفع حاجبها: ومستغرب ليه؟

هاني بغل: من فضلك يا رشا ما تدخليش في اللي ما لكيش فيه، سارة تصحى تبلغيها اللي قلتهولك سلام.

رشا: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا رب يكون في عونك يا سارة.

وهمت بالذهاب لترى أباها فهو منذ وفاة أمها حبيبته وهو طريح الفراش حزنًا على فراقها.

نزلت أوركيد من الطابق الأعلى.

خالتو رشا دا كان صوت بابا؟

رشا تمسح عينيها من البكاء: آه حبيبتي بس مشي.

أوركيد تربت على كتفها مواسية: يا خالتو هتفضلي تعيطي كدا؟! خلاص بقى عشان خاطري، ماما تعبانة قوي وجدو كمان، وأنا مش عارفة أعمل إيه، أنا حاسة إني تايهة وبابا كمان أنا عارفة إنه عايزانا نسافر بأسرع وقت، الدنيا كلها مكركبة فوق دماغي، وبكت.

احتضنتها خالتها بحنان وهي تهمس في أذنها أن كل شيء سوف يصبح على ما يرام.

رشا وهي تبعد أوركيد عنها وتبتسم لها.

عارفة فريدة صاحبة سارة عندها بنوتة قدك تقريبًا، إيه رأيك أخليها تيجي ولا تكلموا بعض، وأهي تبقى تهون عليكِ القعدة لوحدك هنا، عارفة ولادي لو فاضيين ما كانوش سابوكِ لحظة؛ بس همَّ مشغولين

جدًّا في دراستهم، الامتحانات قربت وانتِ عارفة بقى واحد هندسة وواحد طب يعني هم وراهم.

ابتسمت أوركيد لتهوين حزن خالتها.

ولا يهمك يا خالتو، الله يوفقهم.

أونكل فؤاد جاي النهار دا؟

رشا: آه جاي بإذن الله، هو وإيمان مراته وبناته شروق وأريج وصافي.

أوركيد: ما اعرفش ما بارتاحش ليهم ليه.

رشا: ليه بس حبيبتي، دول قريبين من سنك يعني يعتبر.

أوركيد: مش عارفة، مش مهم، يلا نشوف جدو ومام.

* * *

مساءً.

فؤاد: وبعدين ياسارة وآخرة عندك دا؟

سارة بنظرة خاوية: عند!

فؤاد: أيوة عند، يعني إيه مش راجعة مع جوزك.

سارة: يعني مش مسافرة تاني وهاقعد هنا وهاطَّلق.

فؤاد بغضب: إيه اللي انتِ بتقوليه دا؟! هو فيه إيه عايز أفهم، هو هاني هو اللي موت ماما!

سارة تدمع عينيها: مش هتفهم عمرك.

صاح فؤاد: يعني إيه؟ شايفاني حمار! ما تتكلمي عدل.

سارة صامتة، وتدخل رشا من باب الغرفة.

رشا: إيه يافؤاد صوتك جايب آخر الفيلا، مش كدا البنات والولاد تحت.

فؤاد: تعالي شوفي الهانم الصغيرة بتكلم أخوها الكبير ازاي، مش سامعة الكلام لا مني ولا من جوزها.

رشا: اهدا بس وكل حاجة هتبقى كويسة.

سارة بعناد: مش مسافرة ولا عايزة أرجع له، مش هارجع له مش هارجع له، حرام عليكم بقى سيبوني في حالي أنا تعبانة قوي.

رشا تذهب لأختها على الفراش تحتضنها.

فؤاد في غضب شديد: ماشي يا سارة ماشي، أنا هاعرفك شغلك، وخرج وأغلق الباب بشدة.

رشا: بس يا حبيبتي بسس هشش، ما حدش هيغصبك على حاجة، بس يا قلبي.

سارة تصرخ: تعبت بقى، آاااااه، آاااااه يا رب، ياااا رب.

سمعتا صراخًا وجلبة بالخارج ففزعتا وخرجتا مسرعتين.

قلت لك مش هينفع تشوفها دلوقتي، الدكتور مانع الزيارات، قال علي ابن رشا بصرامة لهاني.

هاني: زيارة إيه؟ دي مراتي ولازم أشوفها.

فؤاد: بس يا ولد، انتَ إيه دخلك في كلام الكبار؟

علي: أنا مش ولد يا خالي أنا كلها سنة وأبقى دكتور.

فؤاد: أما انتَ ولد قليل التربية صحيح، بترد على خالك! صحيح تربية ست.

باسل أخوه: إحنا مش قللات التربية، وتربية ست بميت راجل وعرفت تربي الدور والباقي على.....

قاطعته أمه صارخة: باسل، اسكت من فضلك، علي خد أخوك وروح.

بس يا ماما. اعترض علي...

رشا: من فضلك يا حبيبي.. من فضلك.

حاضر يا أمي عشان خاطر حضرتك وخالتو بس، رد علي وجذب أخاه من ذراعه بقوة وذهبا.

نزلت رشا وتركت سارة تنظر إلى ذلك المشهد من الطابق العلوي في مشاعر متضاربة.

المشهد كالتالي، أوركيد متشحة بالسواد كأمها وخالتها وتبكي وهي تقف مبتعدة عن أبيها هاني الذي يقف يدخن سيجارته في غضب ظاهر عليه، بجانبه فؤاد يبتسم بشماتة لعلي وباسل اللذين خرجا حالًا من باب الفيلا، إيمان زوجة فؤاد تقف مع بناتها وهن يرتدين ملابس لا تليق بالعزاء ولا بالحزن الذي يعم العائلة، ويشاهدن في صمت ما يحدث كأنهن يشاهدن مشهدًا من فيلم عربي قديم.

رشا في مواجهة فؤاد: بتعايرني بموت سعيد يا فؤاد؟ الله يرحمه مات وساب لي عياله، ست بس عرفت تربي وتطلع رجالة من ضهر راجل.

فؤاد ساخط: يووووه انتِ عارفة كويس إني ما اقصدش يا رشا، ابنك بيرد عليَّ أكني مش خاله وليَّ احترام.

رشا بمرارة: عندك حق، الخال ليه احترامه، بس بيقولوا برضه الخال والد ولا إيه؟ دا انا ما شفتكش من وفاة جوزي إلا مرة ولا اتنين.

فؤاد: آاااه دا انتِ اللي جرأتِ العيال عليَّ بقى.

رشا تتنهد: فؤاد مش وقته لا جرأت ولا عملت.

والتفتت لهاني الذي اعتقد أنهم نسوه.

عايز إيه ياهاني؟

تنحنح هاني: عايز مراتي.

رشا: مراتك تعبانة ومحتاجة ترتاح شوية مش لازم سفر دلوقتي.

هاني: راحتها في بيت جوزها مش هنا، ونظر لفوق إلى سارة يلا يا سارة.

سارة: مش راجعة معاك يا هاني، لا دلوقتي ولا بعدين، طلقني بقى طلقني.

فؤاد: اخرسي يا سارة.

سارة بانهيار تام: لا مش هاخرس مش هاخرس، كفاية ذل كفاية قلة دين وقلة قيمة، كفاية كرامتي اللي دست عليها سنين عشان خاطر بنتي، ونفسية بنتي، أهي بنتي كبرت ومش قادرة أكذب عليها أكتر من كدا كفاية، كفاية، كفاية.

بدأ هاني في الصعود إليها وهو يتوعدها.

لا هتيجي معايا انتِ وبنتك ملكي.

سارة: انتَ أكيد مش طبيعي، انتَ مجنون، مجنون.

وقبل أن يتقدم خطوة أخرى أمسكت أوركيد بيده ودموعها تسبقها.

من فضلك إمشي يا بابا، قالت أوركيد بكل قهر ومرارة.

هاني: إيه؟!

أوركيد عشان خاطري سيبنا وامشي، أنا كمان تعبت، باسمع وباشوف ماما بتموت كل يوم من سنين وتيجي قدامي وتمثل وتضحك وتديني كل حنانها وطاقتها وانتَ ولا هنا مع حياتك وبس، دا حتى أصحابي عاكستهم وطعنتني في قلبي.

رنت صفعة على وجه أوركيد صفعة خلعت قلب أمها جعلتها تقع فاقدة الوعي، صفعة شهق على إثرها الجميع، وركضت رشا على أختها وهي تصرخ.

إيمان كلمي الدكتور بسرعة.

❋ ❋ ❋

لن أعود

يا بنات حد هنا؟

كتبت غادة.

أسماء: أيوة يا غادة فيه حاجة حبيبتي؟

غادة: سارة تعبانة قوي ونقولها المستشفى.

أسماء: يا نهار أبيض! ليه بس؟

غادة: ما اعرفش تفاصيل، كنت باكلمها عشان أطمن عليها، بنتها ردت عليَّ وقالت لي كدا بس صوتها ما كانش طالع من العياط حبيبتي.

أسماء: طيب إيه هنتجمع ونروح ولا نتقابل هناك ولا إيه؟

غادة: بصي حاولي تتصلي بمنار شكلها مش قاعدة فيس، وفريدة أنا مش عارفة أتحرك بسبب لوجين، حتى أشرف مش هنا ☹.

أسماء: خلاص حبيبتي ولا يهمك هاروح أكلمهم واشوف هاعمل إيه وهابلغ سارة سلامك، يا رب تكون بخير.

غادة: طيب ربنا يستر سلام.

* * *

رشا: أوركيد حبيبتي كفاية بقى يا روح خالتك.

أوركيد: مش قادرة يا خالتو، والله أنا خايفة موت على ماما.

رشا: هتبقى زي الفل بإذن الله ادعي لها حبيبتي وكفاية عياط عشان خاطري.

علي: أوركيد تعالي معايا.

أوركيد: لا يا علي مش هاسيب ماما إلا لما أشوفها واطمن عليها.

رشا تتنهد: يا بنتي روحي مع علي اقعدي حتى في كافيه المستشفى اشربي حاجة تهديكِ ولا اغسلي وشك دا عشان يهدا شوية شكله قرب يورم.

أوركيد: لا عشان خاطري سيبوني هنا.

رشا: طب خلاص اهدي، فين باسل يا علي؟

على: مش عارف كان واقف هنا من شوية، لما كلمتونا كنا لسَّا في الطريق للبيت، لفينا وجينا على هنا إيه اللي حصل دا؟!

قصت عليه رشا ما حدث سريعًا.

علي: طيب وهو فين أستاذ فؤاد دلوقتي وهاني بيه؟

رشا تشير له بالصمت لأجل أوركيد.

رشا: خالك أكيد خد مراته وبناته روحهم، وهاني ما اعرفش راح فين، أنا حذرتهم إنهم ييجوا ورانا.

تقدم باسل منهم وهو يمسك بعبوات عصير.

اتفضلي يا ماما، اشربي حاجة يا أوركيد.

أوركيد ترفض بإشارة من رأسها.

رشا: خليهم معاك يا باسل دلوقتي.

خرج الطبيب من غرفة سارة، ركضوا نحوه.

رشا: خير يا دكتور طمنّنَا.

الطبيب: انهيار عصبي، وضغطها عالي جدًّا، اديتها مهدئ تنام، وطبعًا مش هاوصيكو بلاش أي زعل أو نرفزة، وشوية أدوية.

أوركيد: طيب عايزة أشوفها.

الطبيب: طيب بس من غير قلق.

ذهبت أوركيد لغرفة والدتها وظلت بجانبها وقتًا ثم أصرت عليها خالتها الذهاب للمنزل لتستريح قليلًا وتعود ثانية.

* * *

فريدة: يا عادل باقول لك صاحبتي تعبانة قوي وفي المستشفى.

عادل وهو يحتسي القهوة بهدوء: أيوة يعني لما تروحي لها هتخف؟

فريدة: زيارة مريض يا عادل، وواجب طبعًا وبعدين ما انتَ ما بتستحملش حاجة على أصحابك والواجبات اللي وراك بتتقضى أول بأول، اشمعنى أنا؟

عادل يترك قهوته: يعني إيه اشمعنى انتِ؟ أنا راجل يا هانم، يعني لا ورايا بيت ما ينفعش أسيبه، ولا أولاد محتاجين وجودي دايمًا.

فريدة: يا عادل هو الأولاد بيرضعوا؟ وأنا مش مقصرة دا، واجب ساعة زمن وارجع بإذن الله.

عادل: لا ما بابقاش مطمن عليكِ وانتِ برَّا البيت، وبعدين مش صحبتك دي اللي رحتِ تعزيها من كام يوم؟

فريدة: آه هي، بس تعبت، هو عشان عزيتها يبقى ما اروحش أشوفها وهي تعبانة؟!

عادل: أووووف بقى، خلاص كفاية جدال عقيم، لا اتصلي بيها بالتليفون.

وخرج وتركها تغلي من الغضب.

اتصلت بمنار.

أيوة يا منار، لا ما علش مش هاعرف آجي معاكِ بالله عليكِ سلمي لي عليها قوي لحد ما اشوفها بإذن الله، ماشي حبيبتي تسلمي سلام عليكم.

أنهت المكالمة وجلست تتذكر حديثها مع عادل بعد رجوعه متأخرًا كالعادة من العمل.

انتفضت فريدة من نومها على الأريكة عند غلق باب الشقة.

عادل: سلام عليكم.

فريدة: وعليكم السلام اتأخرت كدا ليه يا عادل؟

عادل: كان عندي شغل، إيه اللي مصحيكِ، مش قلت لك مية مرة قبل كدا ما تستنيش.

فريدة: عايزة أتكلم معاك ضروري في اللي حصل النهار دا.

عادل وهو يخلع رابطة عنقه.

اشمعنى؟

فريدة بنفاد صبر: إيه يا عادل هنخش لبعض إفيهات؟

عادل: بصي أنا يعتبر رايق النهار دا يا فيري، فبلاش نعكنن على بعض وهاعدي لك الأسلوب دا كمان، ادخلي في الموضوع على طول.

فريدة ترفع حاجبها دهشة: الحمد لله، طب مش تروقني معاك؟

عادل وهو يمسك يدها ويجلسان معًا على الأريكة.

المناقصة اللي كنت هاتجنن عليها تمت بحمد الله، يااااااه ارتحت بشكل!

فريدة بحزن: هو دا اللي فرحك، يعني لما قلت لك عائشة أتمت حفظها ما فرحتش؟

عادل يظهر عليه محاولة تذكر الأمر.

آه طبعًا فرحت ربنا يوفقها، باقول لك إيه، أنا جعان قوي وانتِ واحشاني قوي.

فريدة تقف فجأة وهي تفهم مقصده: ولما قفلت التليفون في وشي يا عادل، دا مش فاكره برضه؟ ولما طلبت منك إننا نخرج عشان فرحانين وأفرح البنت، وفين الهدية اللي المفروض تجيبها للبنت من غير ما أنبه عليك؟ دا انا قلت لها هيجيب لك هدية كبيرة معاه.

عادل: يووووه يا فريدة، السكة قطعت وما كنتش فاضي أتصل أرغي زي الحريم تاني، وليه تقولي لها حاجة من غير ما أكون قلت لك عليها؟ والخروج انتِ عارفة كويس ما باحبكيش تخرجي كتير، احمدي ربنا إني سِبتك تروحي تعزي صاحبتك اللي طلعت لنا فجأة دي، أنا جوزك وطاعتي واجبة ولا ناسية؟

فريدة بغضب: مش فاضي ترغي رغي حريم؟ دا انا مراتك وباقول لك خبر يفرح قلبك، أحسن من مية مناقصة، دا انتَ ما بتكلمنيش خالص تطمن عليَّ ولا تسأل على أولادك وانتَ برَّا، ولا بترد على ولا رسالة مني بعد ما أبعت لك وأتفنن في رسايل الحب على فونك وانزل من كرامتي وأقول لك لما تيجي زي الأطفال ها شفت الرسالة؟ ها قريتها؟ ها إيه رأيك؟ ها ما بتبعتليش ليه؟ ها، ها، ها، وفي الآخر رغي حريم؟؟؟ قلت لها كدا عشان أفرحها، عشان ما اكسرش قلبها، عشان هي تستحق كل حلو وخير مني ومنك عشان ما اهزش صورتك قدامها، وانا عارفة كويس قوي قوي إنك جوزي وطاعتك واجبة بس أنا فين؟؟ أنا حقوقي فين يا عادل وفين واجباتك؟

عادل: خلصتِ؟ هابقى بكرة اديها مبلغ حلو تجيب اللي نفسها فيه.

فريدة: هو دا اللي دايمًا بتعمله صح؟ مبلغ، قرشين ويا ريتهم بيعوضوا اللي بيروح.

وهمت بالذهاب لغرفتها.

حضري لي العشا.

فريدة: العشا متحضر على السفرة، أنا داخلة أنام، تعبانة.

وتركته في حالة ذهول من تصرفها فهي لأول مرة تثور، لأول مرة تتركه دون أن تسخن عشاءه وترضي طلبات فراشه، لأول مرة تتحدث بتلك الطريقة القوية والنبرات اللاذعة.

ستات نكدية، ضيعت لي الليلة، كان هذا عادل وهو يتحرك للطعام ليأكل وكأن ما حدث لم يعنِه في شيء.

* * *

حبيبتي يا منو عاملة إيه؟ واحشاني قوي، قالت أسماء وهي تحتضن منار.

منار: حبيبتي وانتِ كمان، إيه يا بت الحلاوة دي؟ قمر طول عمرك يا سو.

أسماء تبتسم: طول عمرك لسانك حلو وانتِ اللي جميلة يا حبيبتي والله فين أولادك؟

منار: عند ماما وأختي كمان عندها، مالك عند ماما؟

أسماء: لا عند خالتو انتِ عارفة بتحب يقعد معاها قد إيه.

منار وهي تغمز: أيوة بقى، لو منك أسيبه يبات واعيش مع جوزي ليلة هادية أو أخرج أو حتى نقعد بس نعيد الذكريات ونتكلم و...

قطعت جملتها وهي ترى أسماء تكتم ضحكتها بشدة لأنهن في الطريق.

منار: فيه إيه يا هبلة؟

أسماء: ما علش مش قادرة ومش عارفة أضحك ولا أبكي الصراحة، يلا يا حبيبتي استهدي بالله بلا يوم هادي بلا نتكلم بلا نعيد ونزيد في ذكريات، يا حبيبتي قولي ألبس له فانلة الأهلي واغني له فريق عظيم أدي له عمري وبرضه قليل.

منار: لا حول ولا قوة إلا بالله البت اتجننت.

وصلن للمشفى عند سارة، وسلمن على رشا وأوركيد وكان باسل معهن.

منار: حبيبتي سارة عاملة إيه؟ عايزة تخضينا عليكِ كدا؟

سارة تحاول الابتسام: الحمد لله يا منار بعد الشر عليكم حبيبتي.

أسماء: حبيبتي والله قلقنا عليكِ قوي، وغادة وفريدة كان نفسهم ييجوا بس ما قدروش الحمد لله.

سارة: همَّ كلموا رشا واطمنوا عليَّ، عاذراهم والله، الله يكون في عونهم.

أوركيد: اتفضلي يا طنط.

منار: حبيبتي شكرًا عاملة إيه يا أوركيد؟ إيه اللي في وشك دا؟

باسل: شكلها حساسية من جو مصر، حضرتك عارفة بقى هناك في لندن غير هنا.

أسماء: مممم طبعًا وهي زي البسكوتة أصلًا.

أوركيد: شكرًا يا طنط والله حضرتك اللي جميلة.

باسل: طيب هاروح أنا وأوركيد الكافيه يا أمي تحبوا تشربوا حاجة؟

رشا: آه يا حبيبي هات لنا طقم قهوة مظبوط معاكم.

باسل: حاضر يلا أوركيد.

خرج باسل وأوركيد والتفتت منار لسارة بحنان.

ما لك ياسارة إيه اللي حصل؟

سارة تتنهد: ما فيش ولا حاجة غير إن اللي توقعته حصل، هاني مجنون ومش ناوي يسيبني أنا وبنتي في حالنا.

رشا: دا راجل لاسع والله يا بنات، شوف عمل في وش بنته إيه الله ينتقم منه.

أسماء: يا نهار! هو دا ضرب؟

منار: باينة قوي يا أسماء بس باسل يا حبيبي ما رضيش يحرجها.

أسماء: آسفة والله يا سارة ما أخدتش بالي أنا على طول هبلة كدا.

سارة: أبدًا يا حبيبتي طبيعي جدًّا ما يجيش في بالك إن أب في الظروف دي يكون فايق للخناق والإهانة بدل ما يقف في ضهرنا، يلا حسبي الله ونعم الوكيل.

رشا: والله يا بنات أنا قلت لها ولا يهمها وما حدش يقدر يغصبها على حاجة طول ما أنا عايشة وولادي معايا.

سارة مبتسمة: حبيبتي يا رشا والله إنك ضهري وسندي بعد الله.

منار: المهم البنت نفسيتها ما تتعبش أكتر من كدا، ناويين تعملوا إيه؟

سارة: هاني مش هيقدر يقعد كتير من غير ما يشوف مصالحه في لندن، يسافر يبعد عننا المهم نكون هنا في وسط أهلنا وبس، ربك يدبرها.

أسماء: يا رب يا سارة الله ييسر أمرك ويبعد عنكم الشر.

* * *

في الكافيه.

باسل: إيه يا أوركيد هتفضلي كدا؟ حاولي تنسي.

أوركيد: أنسى! أنسى إيه بالظبط يا باسل؟! ماما اللي كبرت على عمرها سنين ولا بابا وعمايله؟

باسل: لا تنسي الشعور بالعجز والتعب اللي على وشك تنسي الوقوع وتفكري بس في الوقوف تاني على رجلك بشجاعة وقوة.

نظرت له أوركيد نظرة دهشة من قوة نبرته.

ونظر لها هو يتأمل شعرها البني اللون وعينيها التي تشع كالشمس بلونها الذهبي كانت جميلة جمالًا هادئًا كخالته ولكن لديها من الحزن المبكر ما فاق حزن وقهر سارة بمراحل.

تململت أوركيد في جلستها لشعورها بالإحراج من نظراته.

امتحاناتك إمتى؟ قالت بهدوء.

باسل: قدامي شهرين مثلًا.

أوركيد: قربت تخلص صح؟

باسل: مممم يعني، أنا في رابعة هندسة كلها سنة بإذن الله.

أوركيد: ربنا يوفقك، مش يلا بقى نجيب لهم القهوة ونرجع؟

باسل يبتسم فيزداد وجهه وسامة بعينيه السوداء اللون كشعره تمامًا: يلا.

سلام عليكو، قال باسل وهو يفتح باب الغرفة بعد طرقها وسماح والدته له بالدخول.

رشا: ياه لسَّا فاكر يا عم انتَ، دا الناس قربت تمشي.

باسل مبتسم: لا والله أبدًا، لازم تشربوا القهوة الأول.

منار تضحك: ماشي يا باشمهندس باسل هات.

سارة: أوري حبيبتي تعالي اقعدي جنبي واحشاني، أنا عايزة أخرج يا جماعة.

رشا: ما تخليكِ يومين ترتاحي حبيبتي.

سارة: لالا أنا راحتي في البيت، وكمان مش معقول أوري حبيبتي تتم 18 وأنا في المستشفى.

أوركيد: يا حبيبتي هو دا وقته؟ المهم حضرتك والظروف اللي حوالينا.

سارة: هو أنا قلت هاعمل حفلة؟ لا بس نكون مع بعض في البيت مش هنا بليز.

منار: خلاص يا جماعة سيبوها على راحتها وأعتقد هي محتاجة تتنفس بعيد عن جو العيا دا، كل سنة وانتِ حلوة حبيبتي.

أومأت أوركيد برأسها شكرًا للجميع وهي تبدأ تبتسم لشعورها بالامتنان لوجودها بجانب من يحبونها بصدق.

* * *

دخلت أسماء المنزل هاتفت خالتها التي أصرت على أن يبيت مالك معها اليوم.

فتحت هاتفها وجدت رسالة أخرى من فهد.

(عاملة إيه النهار دا يا أسماء؟ واسمحي لي أقول لك أسماء دون ألقاب، حاسس إنك النهار دا أحسن مش عارف ليه ☺.

مش المهم أعرف ليه، المهم إن يكون إحساسي صادق، عايزك تثقي في نفسك وتبطلي عياط بالليل، انتِ تقدري تفوتي في الحديد صدقيني، ومستني تردي عليَّ.

سلام☺).

تندهت بقوة وقامت لتأكل، أحضرت شطيرة جبن وكوبًا من الشاي، ونظرت لشقتها، كم هي فارغة، كم هي باردة، كم هي مهملة بالرغم من جمال تصميماتها وجمال أثاثها، ماذا ينقصها؟ قبل مالك كنت أظن ينقصها أطفال تلعب وتمرح وتملؤها نورًا، جاء مالك لا أنكر كم ملأ قلبي سعادة وفرحًا وما زال، ولكن قلبي يظل يريد حب ودفء وحنان زوجي، فهو ليس كحب ابني أبدًا؛ فكل منهما له مكانته الخاصة داخل ذلك الكيان الخاص المسمى قلب، فهل تعود يا محمد لأجلي؟ حسنا أسماء لمَ لا تحاولي مرة ثانية وثالثة ما الضير في ذلك؟ فهو زوجك حلالك حبيبك، قاتلي وقفي في وجه شيطان يريد هدم المنزل.

أمسكت هاتفها وهي تردد، فرصة تانية يا محمد بالله ما تسيبنيش أضيع فرصة تانية، محاولة جديدة، إيه المشكلة؟

ألو حبيبي عامل إيه؟ قالت أسماء بصوت مرح.

محمد: ألو حبيبتي الحمد لله بخير رجعتِ؟ جبتِ مالك من عند ماما؟

أسماء بغنج: لا خالتي قالت عايزة مالك معاها النهار دا، وأنا رجعت أهو، انتَ هتتأخر؟

محمد: ممم مش عارف لسَّا، إيه، جووون وربنا، يييبي يا عم طلعت أوف سايت أهي خضيتني.

أسماء تبعد الهاتف عن أذنها، تنظر له، ثم تعود تتحدث.

محمد محمد خليك معايا انتَ فين؟

محمد: هه؟ آه أيوة أسماء أنا عند واحد زميلنا خرجنا بدري من الشغل وعزمنا عنده على الغدا وبنتفرج على ماتش برشلونة.

أسماء: بتتغدا! دا انا كنت ما ليش نفس آكل لوحدي حتى ساندويتش جبنة قلت أكلمك واقول لك نتغدا برَّا، بما إن مالك مش هنا، ولا نروح أي حتة، ونكمل السهرة في البيت إيه رأيك؟

محمد: يخرب بيت كدا يا جدع، حمااااار يا ابني بيشوط والله، يلا بقى يلا.

أسماء تبكي في صمت: محمد؟؟؟؟ محمد.

أنهت المكالمة وقذفت بالهاتف وانهارت أرضًا، شعرت أنها تصعد جبل ثلج عالٍ وهي بملابس صيفية، شعرت أنها في صحراء جرداء دون شربة ماء، شعرت أنها في الرمق الأخير ولكن تموت وحدها.

محمد نظر للهاتف في يده باندهاش ثم تذكر أنه كان يحدث أسماء، ووجد الخط مغلقًا، فضرب رأسه بكفه ثم هم بالاتصال بها ولكن صديقه نادى عليه ليحادثه في شيء ما فترك الهاتف وأكمل مشاهدة.

قامت أسما ومسحت دموعها من على وجهها بقوة آلمتها ثم بحثت عن الهاتف قلبت كل شيء حولها دون مبرر ووجدته فأمسكت به تنظر له برعب ثم فتحت حسابها الفيسبوكي وقبلت رسائل فهد وأرسلت له سؤالًا، استفسارًا بسيطًا، سؤالًا من كلمتين صغيرتين، ولكنه سؤال قادر على هدم معبد بأكمله فوق رؤوس الجميع، وهذا ما قررته أسماء في لحظة ضعف، في لحظة انهيار، في لحظة غباء.

ماذا تريد؟؟

❋ ❋ ❋

لا

حمد الله على السلامة ماما حبيبتي، قالت أوركيد مبتسمة.

سارة: الله يسلمك حبيبتي فين رشا؟

أوركيد: مش عارفة كانت هنا أكيد مع باسل برَّا.

باسل يدخل: حبيبتي يا خالتو عودًا أحمد.

سارة: أحمد مين دا.

باسل: ألش كمان! لا دا احنا اتحسنْنَا كتير.

أوركيد: طبعًا يا ابني أمال انتَ فاكر إيه؟

رشا: بس يا واد انتَ ما ترخمش عليها سيبها ترتاح الأول حتى.

سارة: باسل يرخم؟ دا باسل دا حبيبي يا رشا سيبيه براحته.

رشا: بقى كدا، طيب يا ست ربنا يهني سعيد بسعيدة، ها حبيبتي تعالي ارتاحي في أوضتك لحد ما أعمل لك شوية شوربة ولا حاجة تاكليها.

سارة: آه يا رشا عايزة اطلع أوضتي هنا تعبت وزهقت من المستشفى، وعايزة أشوف بابا كمان واحشني قوي.

أوركيد: آجي معاكم أساعدكم في أي حاجة؟

رشا: لا حبيبتي خليكِ أنا معاها.

صعدت سارة ورشا للطابق العلوي.

باسل: محتاجة مني أي حاجة؟

أوركيد: لا يا باسل شكرًا تعبناك معانا اليومين اللي فاتوا دول.

باسل: تعبكو راحة يا أوركيد، إحنا أهل ما فيش الكلام دا بينْنَا، وأخيرًا انتو وسطينا بعد ما كنا بنتمنى نشوفكم بس.

أوركيد تتملص من الحديث: هو، هو علي فين؟

باسل يبتسم: علي عنده محاضرات مهمة فما عرفش يكون موجود، هو أنا مش كفاية ولا إيه؟

أوركيد: لا ازاي بتقول كدا، أنا طالعة بقى بعد إذنك.

باسل: أوركيد، لو احتجتِ حاجة كلميني فورًا.

أومأت أوركيد وهربت للطابق الأعلى ووصلت غرفتها وقلبها يهدر داخلها لا تعلم لم، ولكن باسل يخترقها بنظراته، بكلماته الهادئة، برجولته، بوقوفه بجانبهم دون خوف من أي شيء حتى من أبيها،

تنهدت وذهبت تأخذ حمامًا ساخنًا لتنام قليلًا فهي لا تدري ماذا تخبئ الأيام لها.

* * *

يااااااااااه أخيرًا رديتِ عليَّ؟ كتب فهد لأسماء.

أسماء وهي ترتعش: عايز إيه؟ من فضلك قول من غير مقدمات، أنا لسَّا شايفة رسايلك دلوقتي، فهمني بقى حضرتك مين وعايز إيه؟

فهد: يعني عايزة تفهميني إنك لسَّا شايفة رسايلي دي دلوقتي؟ طيب أنا هاصدق الكلام دا وادخل في الموضوع على طول تمام، عايز أتعرف عادي يعني نتكلم، معجب قوي ببوستاتك حاسس إني أعرفك من زمان وحبيت أتعرف أكتر عليك.

أسماء: طيب وهو فيه حد بيعرف حد من مجرد بوستات؟

فهد: ما انا قلت حاسس، يعني ممكن جدًّا يكون إحساس مظبوط أو لا ☺.

أسماء: انتَ بتشتغل إيه؟

فهد: عندي شغلي الخاص، تجارة.

أسماء: أيوة يعني بتشتغل إيه؟

فهد: مكتب استيراد وتصدير صغير كدا.

أسماء: وسايب شغلك وقاعد على الفيس؟!

فهد: هههههه ومين قال إني سايبه، مش يمكن باتابع من البيت أو أنا أصلًا في المكتب وباخد بريك أو واخد أجازة عادي.

أسماء: ممم ممكن برضه.

فهد: انتِ عندك كام سنة بتدرسي ولا مخلصة؟

أسماء: أنا مخلصة من زمان انتَ اللي كام سنة؟

فهد: أنا كبير شوية.

أسماء: أيوة كام يعني؟

فهد: 39.

أسماء: مش كبير قوي ولا حاجة عادي، متجوز؟

فهد: لا مطلق، وانتِ كام سنة؟ ☺.

أسماء: مش عيب تسأل ست عن سنها؟؟

فهد: هههههههههه لا ما انا لازم اعرف لتكوني مراهقة ولا حاجة.

أسماء: مراهقة! بقى دي صفحة مراهقة برضه؟!

فهد: عادي يمكن الحزن اللي بتنزليه في بوستاتك يكون من قصة حب فاشلة ولا حاجة!

أسماء: هههههههههه لا ناصح، بتحاول تعرف عن حياتي أكتر بطريقة غير مباشرة.

فهد: لا عادي والله.

أسماء: عامة أنا مش مراهقة ولا حاجة أنا عندي 36 سنة.

فهد: يعني سننا مقارب لبعض سبحان الله على الصدفة! متجوزة يا أسماء؟

أسماء مرتبكة: انتَ حاسس إيه؟ مش انتَ بتحس برضه بحاجات كتير؟!

فهد: حاسس إنك مش طايقاني.

أسماء: لا عادي وهو أنا أعرفك عشان أقرر أطيقك ولا لأ؟ بس انتو الرجالة كدا، عاملين بتعرفوا كل حاجة وتفهموا كل الستات والبنات مع إنكم ما تاخدوش بالكم من حاجات كتير قوي.

فهد: لا مش كدا بس من خلال متابعتي للآكونت بتاعك حددت مجرد معالم زي ما بعتت لك كدا في الرسايل اللي فاتت، يعني حاجات

مش كتير، بتحبي إيه في الموسيقى، بتحبي مشروبات إيه، أكلات إيه، ألوانك، كلها مجرد رتوش مش أكتر.

أسماء تتنهد وهي ما زالت ترتعش من الانفعال ولا تدري لم فعلت ذلك، كم تود أن تحظره وتنسى كل ما حدث، كم تتمنى أن تحذف كل هذا الحوار وتذهب بعيدًا عن كل شيء، ولكن هناك قوة ما زالت تشدها لمواصلة الحديث، فها هي تتحدث مع أحد ما يسمعها ويحاول تفهمها، تعلم داخلها أن هناك مصيبة على وشك الحدوث ولكنها مستمرة لم؟ لا تعلم!

كتبت: اشمعنى أنا بعتت لي واتكلمت معايا يا فهد؟ الفيس مليان بنات وناس.

فهد: ما اعرفش، أنا أصلًا دا مش أسلوبي لو متضايقة ممكن أقفل وما اتكلمش تاني على فكرة عادي.

أسماء: لا عادي مش متضايقة.

فهد: طيب أجاوب على سؤالك بقى.

أسماء: سؤال إيه؟

فهد: إحساسي إيه بالنسبة إنك متجوزة ولا لأ.

أسماء منتظرة.

فهد: شكلك مش متجوزة، أصل الآكونت بتاعك ما فيهوش أي معلومات تقول دا، ولا في العلاقات كتبتِ إنك اتخطبتِ أو اتجوزتِ، كمان ما فيش أي صور ليكِ ولا لحد انتِ ارتبطتِ بيه.

أسماء: مممم مش ممكن يكون عادي متجوزة بس ما باحبش أنزل أي شيء عني؟؟ ليه واثق كدا؟

فهد: ما انا قلتلك مش واثق؛ دا إحساااااس، ومستني تأكيدك يعني، وبعدين حاجة تانية تؤكد إنك مش متجوزة، إنك بتتكلمي معايا عادي جدًّا، آه هتقولي فيه ناس بتتكلم عادي وهي متجوزة بس ما اعرفش حاسك مش منهم.

أسماء تنهمر دموعها في صمت.

واصل فهد كتابة: هاااا قولي لي إحساسي صح ولا غلط؟

أسماء: صح، مش متجوزة.

* * *

عادل يدخل غرفته، وفريدة تحاول النوم.

فريدة انتِ نمتِ؟؟ قال عادل وهو يجلس بجاورها في الفراش.

فريدة ضاغطة على أسنانها: آه نمت.

عادل يمازحها: أمال بتردي ازاي؟

فريدة: عادل بالله عليك سيبني أنام، أنا طول اليوم مرهقة مع الولاد والبيت.

عادل: مرهقة ولا زعلانة مني عشان ما خليتكيش رحتِ لصاحبتك؟

لم ترد فريدة.

عادل: يا فريدة والله بابقى قلقان عليكِ قوي وانتِ برَّا.

فريدة تنتفض من نومها جالسة في مواجهته.

بتخاف من إيه؟ هو أنا عيلة صغيرة! مش ناوي تبطل الحجة دي بقى وتبطل غيرة شوية، أنا لو عملت نص اللي انتَ بتعمله والله هتتعب جدًّا رايح جاي في شغلك ولا بنشوفك وبتتأخر واجتماعات ومشاوير وانا هنا فوق دماغي المسؤولية كلها، ولا على بالك، ويوم ما اقول عايزة بس أخرج مع أختي ولا أنا والولاد تقوم الدنيا وما تقعدش.

عادل: إيه دا؟ دا انتِ معبية بقى!

فريدة: وجوايا كتير يا عادل بس انتَ مش واخد بالك.

عادل: طيب ما انتِ لو تصبري والمكان اللي عايزة تروحيه أوديكِ أنا المواضيع هتتحل.

فريدة: بجد؟ ما انا أقنعت نفسي بكدا يا عادل ولا نفذت ولا كلمة من كلامك طول عمرنا، دا أنا ليَّ أخت وحيدة وفين وفين لما أروح لها، في الصيف تقول لي الدنيا شمس والمواصلات والزحمة ووو.. والشتا الدنيا برد والمطر ووو، طب هنخرج سوا يبقى ازاي يعني تخرجي من غيري، طب خرجني انتَ لا ما انا مش فاضي، طب علمني السواقة ونجيب عربية ليَّ حتى، لا ما ينفعش مراتي تسوق طبعًا.

عادل: يعني أسيب شغلي وأفضل رايح جاي بيكِ؟

فريدة تمسك رأسها: يا ربي يا ربي، برضه بنرجع لنفس النقطة تصبح على خير يا عادل هاريح ورايا بكرة شغل كتير.

عادل وهو يقترب منها في حميمية: طب مش هتقعدي معايا شوية؟

فريدة وقد ازداد ألم رأسها: لا يا عادل تعبانة.

وغطت وجهها في صمت وتركته حتى شعرت بحركته على الفراش يستعد للنوم وما هي إلا دقائق وسمعت أنفاسه المنتظمة دليلًا على نومه العميق.

* * *

أدهم، حبيبي افتح الباب، صاحت غادة.

دي تيتة يا ماما، صاح أدهم.

ما تقول ازيك يا تيتة يا واد انتَ ولا توطي تبوس إيدي، إيه قلة التربية دي؟؟ قالت جدته في تأفف.

خرجت غادة: أهلًا يا طنط، اتفضلي ما علش هو ما لحقش بس يسلم، سلم على تيتة يا أدهم.

قبل أدهم يد جدته وهو غاضب من طريقتها ولكن غادة نظرت له نظرة مفادها ألَّا تحزن.

روح يا حبيبي على أوضتك كمل اللي كنت بتعمله، قالت غادة بحنان وهي تربت على رأسه.

حماتها: ما لحقش إيه؟! دا واد قليل الأدب وبراوي، ودلعك دا اللي مبوظه.

غادة تتنهد: الحمد لله ولادي الناس بتشهد لهم بالأدب يا طنط والله، وهو بس ممكن يكون بيتكسف شوية.

حماتها وهي تجلس: بيتكسف؟؟ وهو فيه راجل بيتكسف هو إيه دا؟

غادة: آه طبعًا فيه راجل بيتكسف، الرسول عليه الصلاة والسلام كان عنده حياء.

حماتها: ألف صلاة عليك يا نبي، ثم أشارت لها بيدها، قصره، هاتي لي كوباية مية ريقي ناشف.

أتت لها غادة بالماء.

ما لك كدا مبهدلة في نفسك؟ ما تسرحي ولا تغيري الجلابية دي.

غادة: ما علش أصلي كنت في المطبخ لسَّا ما خلصتش، والولاد كمان مش مخليينِّي عارفة أتحرك.

حماتها: يا اختي كنا بنقعد بكل العيال وع الضهر نكون مخلصين ومستحميين وزي الفل، إحنا والبيت والعيال، انتو اللي عضمكو طري والكسل راكبكم.

نادت لوجين على غادة بصوت ضعيف.

غادة: ثواني يا طنط هاروح أشوف لوجي.

حماتها: روحي يا اختي شوفيها عاملة لنا أماثل بيها، حاجة هم.

توقفت غادة غيظًا بعدما كانت تتحرك في اتجاه غرفة صغيرتها.

الله هي مش روح يا طنط ولازم أراعي ربنا فيها؟

حماتها: ما قلناش حاجة بس دا ما يخليكيش تقصري مع عيالك التانيين اللي يستحقوا الاهتمام أكتر منها، وجوزك اللي بقى مبهدل في حاله على طول.

غادة: أنا مقصرة مع عيالي التانيين؟؟ وأشرف مبهدل؟ الحمد لله لما أشرف ييجي ابقي شوفيه لابس هدوم نضيفة ازاي ومكوية وزي الفل وعيالي ما شاء الله عليهم وبيتي على طول ريحته حلوة.

صاحت حماتها: ما خلاص يا ست غادة هو انتِ هتفتحي لي محضر، اجري شوفي بنتك الهبلة اللي جوَّا واعملي لي كوباية شاي بدل الرغي دا.

غادة في نفسها (ما فيش فايدة والله، ما فيش فايدة، يا رب صبرني).

وذهبت مسرعة إلى صغيرتها قبل أن ترتكب جريمة يعاقب عليها القانون.

* * *

رن هاتف أوركيد أيقظها من نومها.

نظرت وجدت رقمًا غريبًا.

بصوت ناعس: ألو.

رد عليها والدها: أيوة يا أوري، هاي عاملة إيه؟

انتفضت أوركيد من نومها: داد؟

هاني: أيوة حبيبتي أنا آسف إني صحيتك، بس كنت محتاج أتكلم معاكِ ضروري.

أوركيد: هنتكلم في إيه؟

هاني: عايز أشوفك يا أوري، عشان خاطري وافقي وسامحيني، أنا آسف بجد، أنا مش عارف ازاي عملت كدا.

أوركيد تتنهد لترتب أفكارها: طيب هاقابلك.

هاني وقد تبدلت نبرته فرحًا: بجد حبيبتي سانك يو، خلاص هاستناكِ الساعة 5 في كافيه ماشي؟

أوركيد: ماشي باي. (وأخبرها العنوان بالتفصيل).

هاني: باي يا روحي.

أنهت أوركيد المكالمة وهي لا تعلم هل أخطأت أم لا، ولكنها أقنعت نفسها أنه والدها وحقه عليها أن توافق على مقابلته.

في الموعد ذهبت أوركيد وانتظرت داخل المكان المتفق عليه.

دخل هاني وأشار إليها بيده وذهب إليها، صافحها وأخذها بين ذراعيه بقوة وهي لم تحرك ساكنًا، لم تستطع أن تبادله العناق وذلك أحزنها بشدة.

هاني: عاملة إيه يا أوري؟ آم سوري بيبي، عشان خاطري ما تزعليش مني.

أوركيد: حصل خير.

هاني يمسك يدها ويشد عليها على الطاولة: أنا مش عارف ازاي عملت كدا، أنا آسف حبيبتي، آسف بجد، سامحيني أو حاولي تسامحيني.

أرغمت أوركيد شفتيها على الابتسام: حضرتك مسافر إمتى؟

هاني: حجزت آخر الأسبوع دا، انتِ.. انتِ مش جاية معايا؟

نظرت له أوركيد بحدة: لا، ما اقدرش أسيب مام هنا.

حضر النادل ليأخذ طلباتهم.

هاني: تشربي إيه؟ ولا نتغدا؟!

أوركيد: لا مش عايزة آكل، قهوة مظبوط من فضلك.

هاني: وأنا زيادة.

ذهب النادل ليحضر الطلبات.

هاني يبتسم: كبرتِ يا أوري وبقيتِ تشربي قهوة.

أوركيد حزينة: أنا كبرت واتغيرت كتير وبقيت باعمل حاجات كتير قوي وحضرتك غايب.

هاني بنبرة حانية: أنا آسف، آسف بجد أوري، طيب حاولي تقنعيها إننا نرجع مع بعض وأنا هاتغير وهاعوضك و...

قاطعته أوركيد: بجد؟ فعلًا داد، لسَّا فاكر الكلام دا هيقدر يأثر على مام ويخليها ترجع معاك؟ أو حتى يقنعني وأصدقه؟

هاني: باحبها يا أوري، باحبها قوي وانتِ بنتي حبيبتي.

أوركيد بابتسامة سخرية: ما بقاش ينفع، توو لات داد، سافر حضرتك ويا ريت لو تنفذ لمام طلبها.

هاني وقد حل محل الهدوء غضبًا: يعني إيه؟ هتاخدك مني وكمان عايزاني أطلقها زي ما هي عايزة؟! دا بعينها.

أوركيد بحزن: شفت بقى لو كنت بتحبها فعلًا كنت ريحتها حتى لو انتَ هتتعب من غيرها، بس طلاقكو هيخليها سعيدة، كنت ضحيت لكن حضرتك للأسف مش بتحب، وهي تعبت وانا كمان داد.

هاني: هتسيبوني لوحدي في الغربة؟

أوركيد تضحك: غربة؟؟ حضرتك ما كنتش في غربة، إحنا اللي كنا في غربة، إحنا طول عمرنا حواليك، بس طول عمرنا لوحدنا برضه.

هاني بحقد: مش هاطلقها يا أوركيد، مش هاسيبها تبقى لغيري، هي بتاعتي أنا وبس، وهتفضل كدا لحد ما اموت.

أوركيد وهي تهم بالمغادرة: عمرك ما هتفهم وعمرك ما هتتغير.

ثم استطردت بصرامة لم تعلم من أين أتت بها.

بس أوعدك إني مش هاخليها تبقى حزينة تاني، وأوعدك برضه إني مش هاخلي مخلوق يأذيها تاني حتى لو انتَ، بروميس يو داد.

نظر لها هاني وهي تغادر في دهشة مما قالت، وصرخ في النادل وهو يقدم له قهوته.

مش عايز زفت رجعها.

* * *

إيه يابنات فينكم؟ الشات بقى مهجور ولا إيه، ولا القنبلة فرقعت فيه خلاص.

كتبت منار في محادثتهن الخاصة.

ردت فريدة: على طول رايقة انتِ كدا، لا يا اختي أهو بس تقريبًا مش قادرين نرغي.

منار: لالالا، مش ممكن فيه ست بتبقى مش قادرة ترغي!

فريدة: آه لما تعرف إن الكلام ما لوش لازمة أو بيوجعها.

منار: يخرب بيت النكد، ما لك يا فيري زعلانة ليه؟ ☹.

فريدة: ما فيش عادي.

أسماء: بخخخخخ.

منار: أهي جات ست البسكوتة، فينك يا هانم؟ مش ظاهرة ليه مع إني بالاقيكِ منزلة بوستات.

أسماء: إزيك منو، إزيك فيري، أبدًا موجودة أهو بس مشغولة مع مالك مجنني.

منار: مالك مجننك؟ دا الولد تقريبًا ما سمعنالوش صوت.

فريدة: إزيك حبيبتي الله يعينك، أمال لما تخلفي تاني هتعملي إيه؟

أسماء: لا شكرًا مش عايزة أخلف تاني.

منار: الله مش انتِ كنتِ هتموتي وتخاويه يا سومة؟!

فريدة: ليه كدا بس يا حبيبتي؟ ما تقوليش كدا الله يرزقك.

أسماء: لا عادي الحمد لله بس تعبانة من مالك فحاسة إن قدرتي طفل واحد.

منار: تفل واحد، تفل شاي دا ولا إيه؟ عمومًا ادعي بالخير بس وربنا يقدرهولك أينما كان.

أسماء: يااااارب، سارة عاملة إيه يا بنات وغدغودة فين؟

فريدة: أنا كلمت سارة النهار دا هي كويسة الحمد لله، غادة واضح إنها شافت الرسايل بس مش عارفة ما بتردش ليه؟

منار: اظهر وبان عليك الأمان، إيه شغل الحرامية دا يا غودة؟!

غادة: هههههههه اسكتوا بقى الرسايل شغالة تيت تيت كتمت الصوت حماتي هنا وهي بتتلكك لي أصلًا، ولو شافتني ماسكة التليفون يبقى هاسمع عريضة أنا في غنى عنها، أنا دخلت الحمام عشان أبعت لكم الرسالة دي، سلام مؤقت، لؤي بيعيط.

منار: هههههه يا عيني ع الحلو لما تبهدله الأيام.

فريدة: الله يعينك حبيبتي يا رب.

أسماء: ما علش غودي ربنا معاك.

منار: عاملين إيه مع اجوازتكو يا عيال؟

فريدة: >_<.

أسماء: >_<.

منار: o.O بس كفاية الله يكرمكم.

فريدة: هههههههه طب انتِ عاملة إيه؟

منار: >_<.

أسماء: هههههههه هههههههه أهو مش احنا بس.

منار: طبعًا، بصو لقيت هاشتاج اسمه #فلاش منزل كلام حلو استنوا اجيبهولكم كوبي اقروه وقولوا لي رأيكم.

* * *

كام زوجة معانا هنا في المحاضرة.

سأل المحاضر.

فرفعت معظم الحاضرات أيديهن.

فابتسم المحاضر ابتسامة هادئة، ثم قال سؤاله الثاني بطريقة روتينية بحتة وهو يرتب أوراقه على المنصة.

و كام واحدة سعيدة في جوازها.

لم يرفع رأسه حتى ليرى العدد كأنما هو يعلم ألا واحدة سترفع يدها!

رفع رأسه وقال بصوت عال مفاجئ.

إزاي تكوني زوجة سعيدة؟

كلكم هنا عشان تعرفوا ازاي توصلوا لكدا.

مظبوط؟

همهمات تدل على الموافقة.

طيب.

مبدئيًّا لازم نحفظ كلمة أساسية هنبني عليها كل اللي جاي.

إحنا الزيت، وانتو المية.

تمام؟

لاحظ المحاضر علامات البلاهة على وجوه الحاضرات، فتنهد بفتور وقال موضحًا.

إن الست زي المية، ليها كل خصائصها، خفيفة، سهلة الغليان، سريعة التبخر، تبرد بسرعة وهي عنصر أساسي في الحياة، زيادتها تموت، وقلتها تموت.

الزيت، ثقيل، بياخد وقت أطول ومجهود أطول عشان يوصل للغليان، ما بيتبخرش، بياخد وقت أطول بكتير عشان يبرد، حارق وممكن يؤدي إلى كوارث لو ما تعاملناش معاه بحرص.

تمام كدا؟

فابتسمت الحاضرات مع أصوات همهمات وتبادل نكات بين البعض.

فابتسم هو كأنما قطع شوطًا كبيرًا من محاضرته، فأكمل قائلًا.

هل ينفع نقارن الزيت بالمية؟

عاوز اسمع إجابتكم بصوت عالي.

فردت الحاضرات بصوت واحد قوي، لأ.

اتسعت ابتسامته وهو يقول، طب احفظوا ردكم دا كويس.

خليني أتكلم عن الزوج العادي الطبيعي تمامًا، الراجل يا هوانم بيقبل بأدنى درجات الحب.

هنا تعالت أصوات شهقات من الحاضرات ووقفت إحداهن لتقول:

أدنى ازاي يعني؟ دا إن ما كانتش كل حاجة على سنجة عشرة يطلع عيني!

فرد هو قائلًا، بيتهيأ لك.

عشان "انتِ" بتحبي جوزك فبتبقي عايزة تعملي كل حاجة على سنجة عشرة!

أحسن أكل.

كل يوم صنف واتنين.

ما فيش أكل بايت، هدومه مكوية أول بأول، عياله نضاف البيت بيبرق إلخ إلخ إلخ.

الراجل مش عاوز كل دا على فكرة، ولا حتى واخد باله من كل دا!

يعني لو حضرتك ريحتِ نفسك شويتين هيبقى عادي عنده برضه.

ارتفعت شهقات الحاضرات مرة أخرى فأكمل مسرعًا.

الراجل ما يفرقش معاه أكل محشي ولا فول النهار دا.

سمك وبيكاتا ولا بصارة وعدس!

المهم إنه ياكل ويشبع، بس!

مش مهم عنده انتِ بتغسلي الهدوم أول بأول وبتستعملي المسحوق الفلاني اللي بيطلع البقع والمعطر العلاني عشان الهدوم ريحتها تبقى مفحفحة، ولا بتكوي يوميًّا أو لأ، المهم عنده إنه يلاقي هدمة مكوية يلبسها وهو خارج وبس!

بدأت الحاضرات ينظرن إلى بعضهن البعض غير مصدقات.

الراجل ليه الخطوط الأساسية اللي بيعيش بيها.

الراجل ما يفهمش حاجة اسمها التفاصيل، ما يعرفهاش، ولا عمره هياخد باله منها.

والدليل.

انتِ لو صبغتِ شعرك مش هياخد باله، إنما لو اقرعيتِ احتمال ينتبه.

هنا تعالت أصوات الضحكات من الحاضرات.

فابتسم هو وأكمل.

إحنا مش زيكم، إحنا "الزيت" بيركز في مكانه وما لوش في التفاصيل الكتير.

أنا مش عاوز أدوش مخي.

أنا باحب مخي فاضي، لأنه مدووش أصلًا بالشغل والمصاريف ودول كفاية عليَّ جدًّا.

لو عاوزة تكوني زوجة سعيدة، مش مفروض تموتي نفسك عشاني!

أنا كدا كدا عاوز منك الخطوط الرئيسية، اديها لي وبس!

صعبة دي؟!

فقالت إحدى الحاضرات.

يعني الحق عليَّ إني باجي على نفسي عشان أعمل لك أكلة حلوة كل يوم، ولا عشان بانضف البيت يوميًّا، ولا عشان عاوزا أعمل لك أحسن حاجة؟

هنا رد المحاضر ببرود.

ومين قال لك تعملي كدا؟

كان الرد صادمًا لدرجة أن القاعة كلها صمتت صمتًا تامًّا.

بينما اتسعت حدقتا السائلة وعندما همت بالجلوس كرر هو السؤال.

حضرتك ما رديتيش عليَّ؟ مين قال لك تعملي كدا؟

جوزك طلب منك دا؟

تلعثمت قليلًا ثم قالت:

لأ!

بس هو دا جزاتي عشان باجي على نفسي عشانه؟

عشان باضحي عشانه؟

رد هو بنفس البرود.

حضرتك ضحيتِ باختيارك، بتحاسبي زوجك ليه؟؟!

أنا فان جوخ قطع ودنه عشان يهادي بيها حبيبته، حبيبته ليها ذنب؟؟

صمت في القاعة.

فردد بصوت صارم.

ليها ذنب؟

فردت الحاضرات بصوت خافت، لأ.

ابتسم هو بينما قال، بالمناسبة معلومة إنه قطع ودنه عشان حبيبته دي غلط.

نرجع لكلامنا.

الراجل ما يفهمش معنى التضحية في الحاجات دي.

واحدة عملت محشي النهار دا، براڤو.

عملت فول بكرة، وما له.

عملت تونة بعده، مش هاموت ولا هاقتلك يعني!!!

انتوا اللي بتحبوا تاخدوا دور الأم كامل، مع إنك مجرد زوجة، واما "تعوديه" على كدا ويبتدي يحاسبك على "تقصيرك" في اللي انتِ خلقتيه، تزعلي!!

طب ما كان من الأول.

أهم قاعدة في الزواج السعيد، اعملي اللي في مقدرتك مش اللي أكتر من مقدرتك.

عشان أنا كزوج، ها اعمل اللي في مقدرتي وبس.

هنا وقفت سيدة أخرى وقالت.

بس مش كل الرجالة كدا!

لو على مثال الأكل، فيه رجالة لو مش كل يوم صنف محترم تقلب البيت حريقة.

هنا ابتسم المحاضر وصفق بيديه قائلًا.

امسك تخصص.

بمعنى.

الزوج دا عنده شيء محدد بيحبه بطريقة معينة، خلاص، يبقى أعمل له دا بطريقته.

يعني، الزوج عاشق الأكل، انبساطه في الأكل.

الزوج عاشق الدلع، انبساطه في الدلع مع مراته.

الزوج عاشق المرأة الجميلة، انبساطه في جمال زوجته.

إيه المشكلة؟!

إنما تعالي بقى ادي الزوج عاشق الأكل زوجة قمر بس فاشلة في الطبخ، ولا أكنه متجوز وهتبقى أيام سودا.

لأنه مش اهتمامه أصلًا هي جميلة أو لأ.

يبقى قاعدة رقم اتنين، أوفر مجهودي للحاجة اللي هتعمل فرق عند زوجي، عشان ما اهدرش طاقتي واضيع وقتي ع الفاضي.

سكت برهة ثم قال لإحداهن.

لو سمحتِ، ممكن تناوليني الكوباية اللي ع المكتب دي؟

وأشار إلى كوب يبعد عنه مسافة ذراع فقط.

فقامت السيدة وتحركت من كرسيها مسافة 3 أمتار وناولته الكوب ثم عادت لتجلس.

فابتسم هو وقال.

و الله انتِ ست جميلة.

ثم تابع.

حضرتك اديتيني الكوباية ليه؟

فذهلت الحاضرات بينما ردت السيدة بحيرة.

مش انت قلت لي أديها لك؟؟؟

فقال هو.

يعني انتِ قمتِ من مكانك ومشيتِ 3 متر وناولتيني الكوباية وبعدين رجعتِ الـ 3 متر وقعدتِ في حين كان ممكن أنا "أميِّل" بس في أقل من ثانية وآخدها!

القاعدة رقم تلاتة للزوجة السعيدة.

ما تشيليش شيلة مش شيلتك، عشان اللي يلاقي دلع وما يدلعش يبقى غبي.

الزوج طول الوقت قبل ما يبقى زوج بيتعامل كابن.

ماما غالبًا بتعمل كل حاجة، فلما باتجوز باستكشف تدريجيًّا إيه الكائن اللي اتجوزته دا.

لو حطيتِ نفسك في خانة الأم، هاعاملك زي ما باعاملها فورًا، من عقلي الباطن حتى وبدون ما احس.

وساعتها انتِ أكتر واحدة هتندمي.

فاهمين قصدي؟

فابتسمت الحاضرات مع همهمات تفرقت بين التحسر والإيجاب.

طب أنا شايف ناخد بريك ونرجع نكمل بعد شوية.

❋ ❋ ❋

لا للقيود

دخلت أوركيد المنزل وعلى وجهها معالم الغضب ظاهرة ولم تسمع باسل وهو ينادي عليها.

أوركيد، أوركيد.

أوركيد تنتبه: هه، أيوة يا باسل فيه حاجة؟؟

باسل غاضب: كنتِ فين؟؟

أوركيد: نعم؟؟ يعني إيه كنت فين؟

باسل: يعني كنتِ فين لحد دلوقتي؟

أوركيد بغضب: وانتَ مالك؟

باسل: هو إيه اللي ما لي؟ الساعة داخلة على حداشر، إزاي تخرجي من بعد العصر ما تجيش غير دلوقتي؟ وفيها إيه لما أسألك؟

أوركيد: كنت باتمشى يا باسل مع إن مش من حقك تسألني كنت فين أصلًا.

باسل وهو يمسك يدها بقوة آلمتها: لا حقي أنا ابن خالتك، وانتِ هنا مسؤولة مني.

أوركيد: سيب إيدي انتَ اتجننت! لا مش مسؤولة منك وانا حرة ولا عشان قاعدة معاك في نفس البيت يبقى خلاص هتتحكم فيَّ؟

باسل: أوركيد هنا مش لندن، وأنا مش هاني بيه.

أوركيد تحملق فيه مصدومة وتنزع يدها من يده.

باسل تدارك خطأه: أنا، أنا ما اقصدش يا أوركيد، أنا بجد...

قاطعته بصرامة: ولا تقصد، من فضلك محتاجة أرتاح.

وركضت إلى غرفتها ولم تبالِ بندائه مرة أخرى.

باسل يضرب رأسه في غضب: غبي يا باسل، غبي.

رشا تخرج من غرفتها ترى أوركيد تركض إلى غرفتها وباسل يقف في الردهة في الطابق السفلي يضع يده على خاصرته في غضب، نزلت إليه.

فيه إيه يا باسل صوتكم عِلِي ليه وأوري ما لها؟

باسل: ما فيش يا أمي.

رشا: لا فيه ولازم أعرف.

باسل يتنهد بقوة ويقص عليها ما حدث.

رشا: إيه اللي انتَ عملته دا؟؟

باسل: ما علش بقى اتنرفزت وكنت خايف عليها.

رشا: خايف عليها يبقى تفكرها بأكتر حاجة كارهاها في حياتها، تصرفات أبوها!

باسل: ما اعرفش يا أمي أنا عملت كدا ازاي بس فعلًا كنت هاتجنن لما ما ردتش على تليفونها واتأخرت كدا.

رشا: طب وانتَ ما لك تغيب ولا تتأخر ولا بتتصل بيها ليه؟؟

باسل يهرب من نظرات والدته: مش بنت خالتي يا ماما ويعتبروا أمانة وأوركيد ما تعرفش البلد هنا واحنا المفرو....

قاطعته رشا: باسل، خالتك وبنتها مش أمانة هنا عشان نعاملهم زي الأطفال ونخنقهم أكتر ما همَّ تعبانين؛ دول في بيتهم، أنا فاهمة نظريتك بس طريقتك غلط خالص، من فضلك سيب أوركيد في حالها، هي حاليًّا مش مستحملة قهر ولا تحكم من حد خالص، هي شافت اللي مكفيها في حياة مامتها، وانا متأكدة لو انت كنت اتكلمت بطريقة تانية كانت قالت لك هي راحت فين، ولو حابة تقول لك هتقول لك مش حابة من فضلك ما تضغطش عليها.

باسل في ندم وإحراج: حاضر يا أمي بعد إذنك رايح بيتنا.

رشا: ليه؟ مش قلت علي هناك بيذاكر في هدوء.

باسل: آه يا ماما هاروح أذاكر معاه من فضلك، سلام عليكم.

وقبل جبينها ومشى مسرعًا.

طرق على باب غرفتها جعلها تنتفض وتمسح عبراتها مسرعة قالت بصوت مخنوق.

مين؟

رشا: أنا يا أوري يا حبيبتي ممكن أدخل؟

أوركيد: اتفضلي يا خالتو.

رشا: حبيبة خالتو عاملة إيه؟ قلقت عليكِ على فكرة وماما سألت عليكِ بس أنا طمنتها عليكِ من غير ما أقول لها إنك برَّا لحد دلوقتي.

أوركيد: آسفة يا خالتو إني قلقتك وماما عاملة إيه؟

رشا: الحمد لله أحسن بكتير وخدت الدوا ونامت، ممكن أعرف كنتِ فين وليه ما رديتيش على تليفونك ليه يا حبيبتي؟

أوركيد: هو باسل قال لك؟؟

رشا: أنا غلطت باسل في اللي قاله على فكرة، بس ما علش انتِ كمان غلطتِ.

أوركيد: عارفة إني غلطانة إني ما عرفتش حد أنا فين، بس ما كنتش عايزة أكلم حد، كنت مخنوقة وتعبانة، وبكت مرة أخرى.

احتنضتها رشا بقوة: بس حبيبتي بس اهدي طيب مش عايزة تتكلمي دلوقتي بلاش.

أوركيد: لا يا خالتوأنا عايزة أقول لحضرتك، كنت باقابل بابا.

ثم قصت عليها ما حدث بينها وبينه.

رشا: أنا عارفة إن هاني مش ناوي يجيبها لبر، طيب كل دا كنتِ مع هاني؟

أوركيد: لا بعد ما خرجت من الكافيه فضلت أتمشى لحد ما حسيت إني تعبت ركبت تاكسي وجيت.

رشا: دا كلام برضه؟ حبيبتي انتِ أصلًا ما تعرفيش البلد كويس، كتر خيرك إنك وصلتِ للكافيه لوحدك، يبقى تتمشي وحدك كدا وترجعي بالليل، لأ أنا عاتبة عليكِ في الحتة دي مش زعل منك، لأ خوف عليكِ.

أوركيد: آسفة خالتو ما تزعليش مني.

رشا تبتسم: مش زعلانة حبيبتي المهم دلوقتي خدي دش ونامي ويا ريت ما تجيبيش سيرة لسارة باللي حصل دا، ماشي؟؟

أوركيد: حاضر.

قبلت رشا جبينها: تصبحي على خير حبيبتي.

أوركيد: وحضرتك من أهل الخير خالتو.

* * *

أرسلت منار رسالة خاصة إلى فريدة.

فريدة انتِ هنا؟؟

كتبت فريدة بعد قليل: أهلًا منو عاملة إيه حبيبتي.

منار: الحمد لله بخير والله انتِ طمنيني عليك، أنا ما رضيتش أبعت على الشات العام حاساكِ مضايقة، قلت يمكن مش حابة تتكلمي قدام الكل.

فريدة: حبيبتي يا منار حاسة بيَّ.

منار: ما لك بس؟ احكي لو حابة.

فريدة: أبدًا، اتخانقت أنا وعادل وحب يصالحني وانا ما رضيتش وأول مرة أعمل كدا فحساني مخنوقة.

منار: طيب ليه ما قبلتيش اعتذاره؟

فريدة: هو مش اعتذر بالمعنى المفهوم...

منار: أُمال؟

فريدة: يعني جه يكلمني أكن ما فيش حاجة حصلت.

منار: ودا اعتذار بقى عندك؟

فريدة: آه ما هو فيه رجالة ما بتعرفش تعتذر لفظ يعني، وعادل منهم فأنا خلاص حفظته بس أول مرة ما ارضاش بالوضع كدا.

منار: طيب انتِ عايزة إيه؟؟ حاسة إنك عايزة تعدي الموضوع زي كل مرة؟

فريدة: ما اعرفش، مش حاسة إني مرتاحة حاساني غاضبة من جوَّا قوي بس عارفة نفسي الموضوع هيسكت وهاعديه وخلاص.

منار: طب وليه تضغطي على نفسك ما تتكلمي معاه؟

فريدة: زهقت كلام ومناقشات، لو يعني أمكن إني أتناقش ولا رد ولا سمعني من الأساس.

منار: مشكلة كل بيت، طيب ممكن المرة دي ما تعمليش حاجة غصب عنك، يعني عايزة تتكلمي اتكلمي، عايزة تنفجري انفجري، عايزة تسامحي سامحي.

فريدة: ربنا يسهل، طيب منار كنت عايزة أسألك على حاجة.

منار: اتفضلي يا حبيبتي.

فريدة: هو لو أنا كنت زعلانة وطلبني وأنا ما رضيتش أو كنت تعبانة أو كنت حتى مش عايزة كدا، أنا عليَّ حرمانية؟؟ انتِ فهماني؟

منار: آه يا حبيبتي فاهماكِ، بس عشان ما افتيش في حاجة هاسأل واقول لك، تمام؟

فريدة: تمام منو، أنا مضايقة قوي من الحتة دي، وخايفة أكون عملت غلط.

منار: كتر خيرك يا حبيبتي إنك بتحاولي تسألي وتعرفي دينك، يلا هاقوم دلوقتي وأبقى ابعت لك بعدين.

فريدة: شكرًا يا منار.

منار: بس يا بنت شكرًا إيه، انتِ أختي.

فريدة: ما هو من لا يشكر الناس لا يشكر الله، رسولنا علمنا كدا.

منار: عليه الصلاة والسلام، ماشي حبيبتي سلام عليكم.

فريدة: وعليكم السلام حبيبتي.

* * *

ماما جود مورنينج حبيبتي عاملة إيه دلوقتي؟ قالت أوركيد لسارة وهي تستقبلها على مائدة الإفطار.

سارة: الحمد لله حبيبتي، يا صباح الورد.

أوركيد: حضرتك كويسة؟

سارة: جدًّا حبيبتي محتاجة أغير جو أوضتي، وجعانة وعايزة أفطر معاكم.

رشا تدخل: حبيبتي صباح الخير تنوري طبعًا، أنا فكرتك نايمة سِبتك براحتك.

سارة: لا يا حبيبتي صحيت الحمد لله خدت شاور وصليت وكنت قاعدة باقرأ قرآن وبعدين حبيت أنزل شوية.

أوركيد: كدا أحسن حبيبتي لازم تخرجي من المود دا.

سارة تبتسم: الحمد لله أمال فين باسل وعلي يا رشا؟

رشا: في البيت راحوا يذاكروا من امبارح، وأكيد كانوا سهرانين ونايمين دلوقتي.

سارة: ربنا معاهم يا رب، أوري حبيبتي انتِ هتعملي إيه في دراستك؟

أوركيد: ما تخافيش حضرتك، أنا سألت علي وهو سأل لي في الجامعة وبإذن الله السنة الجديدة هاكون قدمت.

سارة: طيب إيه ناوية على إيه؟

أوركيد: مش عارفة لسَّا والله، يفتح باب التقديم بس هاكون استقريت وشفت ينفع إيه، المهم إني لسَّا في أجازة طويلة.

رشا: ربنا معاكِ أوري حبيبتي، سارة فاكرة نجلاء صاحبتي؟

سارة تفكر: نجلاء!

رشا: آه يا بنتي نجلاء اللي كانت بتيجي تقعد معانا بالساعات هنا زمان.

سارة: يااه نجلاء! انتو لسَّا على اتصال زي الأول؟!

رشا: مش زي الأول طبعًا؛ كل واحدة عندها أولادها وحياتها بس برضه ما نقدرش نستغنى عن بعض، المهم هي كانت مسافرة وجاية تعزينا النهار دا.

سارة: أهلًا بيها، يا الله! الأيام دي رجعتني كتير قوي يا رشا، سبحان الله.

رشا: الحمد لله، المهم حابة تقابليها معايا ولا تعبانة؟

سارة: لا هاقابلها طبعًا فرصة أرجع لوقت كنت فيه لسَّا رايقة يا رشا.

أوركيد تمسك يد أمها: هترجعي وتبقي كويسة قوي.

سارة: إن شاء الله حبيبتي، بس ما حدش بيرجع زي الأول يا أوري، الواحد بيحاول يقف على رجله من تاني، بس فيه حاجات عمرها ما بتتغير ولا بترجع.

رشا محاولة تغيير الموضوع: إيه بقى مش هناكل ولا إيه؟؟ أنا عملت فطار حاجة كدا ملوكي.

سارة: ربنا يخليكِ ليَّ يا روشي.

رشا: ويبارك فيكِ حبيبتي.

* * *

منار وحشتيني حبيبتي، قالت سهير والدة زوجها وهي تفتح لها باب الشقة.

منار: وحضرتك يا ماما وحشتيني، طمنيني عليكِ، أخبارك إيه؟ وأحلام الوحشة دي بقت تتصل بيَّ كل فين وفين خلاص نور خدها مننا؟!

سهير: أمال، مش دي اللي كنا بنقول لها هتنشغلي عننا تقول أبداااا.

منار تضحك: يلا، الله يسعدها، إحنا عايزين إيه غير إنها تكون مبسوطة؟!

سهير تلتفت لأحفادها: حبيبتي هنونة عاملة إيه يا قلبي، وموزي روحي؟

هنا: الحمد لله يا تيتة، فين لعبتي اللي سِبتها هنا المرة اللي فاتت بقى؟

منار: يا بنتي الصبر شوية.

سهير: سيبيها براحتها، ادخلي أوضة التلفزيون هتلاقيها.

معاذ: وأنا فين المثدث؟

سهير: المثدث! لا دا ما اعرفش بقى روح دور عليه.

معاذ: كل حاكة ما تعلفوس.

منار: معاذ اتلم شوية واتكلم عدل مع تيتة.

سهير مازحة: ولد مشكلة، عامل زي أبوه، كان بلسانين كدا وهو صغير.

سهير وهي تنظر لمنار نظرة خاصة: أبوه عامل إيه يا منار معاكِ؟

غابت ابتسامة منار: الحمد لله يا ماما الله يهديه.

سهير: ما انا عارفة إن الحمد لله على كل حال بس قولي لي بجد عاملين إيه؟

منار: ولا حاجة يا ماما، الحقيقة إننا عايشين أغراب، بناكل ونشرب وننام بس، وهو مع حاله، وأنا مع حالي بصراحة تعبت وبافكر في الانفصال.

شهقت سهير: يا خبر أبيض! يا بنتي اصبري عليه والله هو طيب وبيحبك، وانتِ كمان بتحبيه، بلاش الكلام اللي يوجع القلب دا.

منار: يا ماما عارفة إنه بيحبني بس هو الحب كلام؟؟ وانا باحبه آه بس تعبت والله والكلام اللي يوجع القلب دا ما جاش إلا بعد محاولات كتير وتعب ربنا عالم بيه.

سهير: طب عشان خاطري فرصة أخيرة عشان خاطري أنا وخاطر عيالكم قبلي.

منار وعيناها تدمع: حاضر يا ماما، حضرتك عارفة ومتأكدة إن لما تقولي لي عشان خاطر أولادك وخاطري هاسكت.

سهير: لا والله مش كدا؛ أنا بس أنا مش عايزة خراب البيت ولازم أقول كدا، طب بالله عليكِ هاقول إيه بس، طب تحبي أكلمه؟

منار: لا يا ماما ما تكلميهوش، هو عارف بيعمل إيه وعارف إحنا وصلنا لإيه وساكت، عشان عارف آخري إيه، خناقة، مصالحة وشكرًا، سيبيه والله المستعان.

سهير ربتت على كتفها وهي لا تدري ماذا تقول لها، فهي تعلم كم تحملت منار وكم ابنها غبي.

* * *

أسماء انتِ هنا؟ كتب فهد ووصل إشعار الرسالة لأسماء، ولكنها لم ترد فورًا؛ انتظرت قليلًا فما زالت تشعر بتوتر في معدتها عند محادثته، خصوصًا أنها تحدثه كثيرًا.

أسماء: أيوة.

فهد: عاملة إيه؟

أسماء: الحمد لله بخير.

فهد: هو انتِ ما قبلتيش طلب صداقتي ليه؟

أسماء: لا خلينا كدا أحسن، عشان عيلتي عندي ومش عايزة مشاكل.

فهد: مشاكل ليه؟ هو احنا بنعمل حاجة غلط!

أسماء: مش كدا، بس يا ريت نفضل كدا، أنا مرتاحة أكتر بالطريقة دي.

فهد: براحتك، عادي بالنسبة لي.

أسماء: عامل إيه في شغلك؟

فهد: الحمد لله ماشي الحال، قولي لي انتِ عملتِ إيه في يومك؟ كنت مضايقة امبارح؟

أسماء: انتَ لسَّا فاكر؟

فهد: آه عادي باحب أسأل ع الناس اللي تهمني.

أسماء: انتَ عملة نادرة.

فهد: ليه؟

أسماء: عشان الرجالة ما بتحبش تسمع وما بتحبش الرغي.

فهد: هههههه وليه نسميه رغي؟ ما نقول خد وهات، زي ما هاسمع زي ما هالاقي اللي يسمعني وقت خنقتي برضه.

أسماء: ممكن برضه.

سمعت محمد زوجها ينادي عليها.

أسماء: طيب مضطرة أقوم، ماما بتنده عليَّ، سلام.

فهد: طيب هاستناكِ تاني، بس بكرة لأني مسافر بالليل.

أغلقت أسماء الهاتف بسرعة وقلبها يخفق بقوة أحزنتها.

أيوة يا محمد.

محمد: إيه يا أسماء فينك؟ أنا ما بقيتش أشوفك طول النهار قاعدة ع التليفون.

أسماء: أيوة يا محمد، محتاج حاجة طيب؟

محمد: هو لازم أحتاج حاجة؟؟

أسماء: ما هو انتَ ما بتسألش عليَّ إلا لما تكون محتاج حاجة أو بتدور على حاجة.

ضحك محمد: فقساني على طول كدا، انتِ زعلانة ولا إيه بقى؟

أسماء في نفسها (لأ؛ مقهورة بس).

ردت عليه: لأ عادي.

محمد: طيب حطي لي غدا عشان مستعجل.

أسماء دون أن تسأل إلى أين سيذهب أو مع من أو لم حتى.

حاضر ثواني ويكون جاهز.

اندهش محمد من هدوئها ولكن لم يعلق، ذهب لغرفة الطعام ينتظر.

* * *

خالتو هي ماما فين؟؟ قالت أوركيد.

رشا: راحت تغير هدومها يا حبيبتي عشان تستقبل نجلاء، فيه حاجة؟

أوركيد: لأ، كويس عشان عايزاكِ.

رشا بقلق: ما لك حبيبتي فيكِ حاجة؟

أوركيد: لا الحمد لله بس انا امبارح ما نمتش وجات لي فكرة كدا وعايزة رأيك فيها.

رشا تترك ما بيدها: قولي خير؟

أوركيد: هو أهل بابا ممكن يقفوا جنب ماما عشان بابا يبعد عنها من غير مشاكل؟

رشا: نعم؟ انتِ فعلًا مش زعلانة من موقف ماما القاطع يا أوركيد؟

أوركيد تبتسم بمرارة: لا يا خالتو مش زعلانة، أنا أكتر واحدة شافت ماما بتدبل وشايفة إن فعلًا من مصلحتهم هم الاتنين إنهم ينفصلوا، ماما محتاجة تبعد عن بابا عشان فعلًا تعبها، وبابا محتاج يعرف إنه ضيع ماما من إيده، يمكن يرجع عن اللي هو فيه، آه حزينة عشان

كان نفسي نبقى أسرة زي أي أسرة، بس الحمد لله، ها إيه رأي حضرتك؟

رشا: رأيي في إيه يا بنتي! أهل أبوكِ مقاطعينه من زمن من ساعة ما كنتِ صغيرة من عمايله اللي كسفتهم وهمَّ صعايدة، ومامتك كان لا حول ليها ولا قوة، إنها تتواصل معاهم، انتِ عارفة هاني كان محاوطها ازاي، إنهم يساعدوها ما اعرفش أصلًا موقفهم ممكن يكون إيه!

أوركيد: طيب ما نحاول مش يمكن يساعدوها ويوقفوا بابا عند حده، إيه اللي هيجرى أكتر من اللي جرا؟

رشا: لا لا لا، أنا مش عارفة الكلام دا صح ولا لأ، مش عارفة أفكر فيه حتى.

أوركيد: طيب ما تجيبي لي العنوان بتاع جدي الشناوي واروح واجرب.

رشا: لا !!!!! انتِ أكيد اتجننتِ.

أوركيد: ليبه بس؟ مش يمكن لما يسمعني ييجي في صفي؟

رشا: أوركيد، بالله سيبيني أنا اللي فيَّ مكفيني.

أوركيد: طيب هاسيبك بس من فضلك فكري في الموضوع، اوعديني إنك هتفكري.

رشا على مضض: حاضر أوعدك والله أفكر، بس اوعي ماما تاخد خبر.

أوركيد: طبعًا يا خالتو يا عسل.

ماما، يا أمي، كان هذا صوت باسل.

أوركيد: طيب بعد إذنك يا خالتو أنا طالعة أوضتي.

رشا: أوري حبيبتي ما تبقيش عيلة، استني.

أوركيد: ما علش يا خالتو.

تحركت أوركيد فكادت أن تصطدم بباسل.

باسل: راحة فين؟ مش عايزة تقابليني؟

أوركيد: ليه؟ عادي.

باسل: إزيك يا أمي خالتو سارة عاملة إيه؟

رشا: الحمد لله يا حبيبي بخير، فين علي؟

باسل: راح الكلية وراه حاجات مهمة هناك.

رشا: طيب فطرت؟

باسل: أوركيد فطرت؟

رشا تبتسم: آه فطرنا من شوية.

أوركيد: من فضلك عديني عشان أطلع أوضتي.

باسل: لا عايز أتكلم معاكِ الأول، بعد إذنك يا ماما.

رشا: اسمعيه يا أوري إذا سمحتِ عشان خاطري.

أوركيد: حاضر يا خالتو.

باسل: ماما من فضلك ممكن ساندويتش ع السريع مع كوباية شاي.

رشا: حاضر يا حبيبي.

باسل: تعالي يا أوركيد نقعد في الجنينة.

تحركت أوركيد على مضض أمامه وهو يبتسم لرشا.

عاملة إيه، قال باسل.

أوركيد: الحمد لله.

باسل: الجو النهار دا يعتبر كويس لا حر ولا برد.

أوركيد تتوقف: باسل عايزني في إيه؟ فيه حاجة عايز تزودها على اللي قلته امبارح؟

باسل: أنا باعتذر أنا قلت كلام مش المفروض كان يتقال.

أوركيد: بالظبط.

باسل: نعم؟؟ هو دا اللي هتقوليه؟ بالظبط، أنا باعتذر لك وانتِ بتقولي لي بالظبط.

أوركيد: أمال أقول إيه؟ بتقول إنك غلطت وانا باقول لك آه غلطت.

باسل يتنهد بغيظ: طيب يعني هتفضلي زعلانة؟

أوركيد: انتَ بتعتذر ولا عايز تضربني؟

باسل: وبعدين بقى، يعني أعمل إيه أركع قدام سيادتك؟

أوركيد: ولا قلت لك تركع ولا حاجة، انتَ بتعتذر وانا قبلت، خلاص ارتحت؟

باسل: لا ما ارتحتش، ما هو دا مش شكل قبول اعتذار وانا غلطان إني اعتذرت.

أوركيد بهدوء مستفز: خلصت؟؟

باسل: لا ما خلصتش، المهم إنك قبلتِ سلام.

صاحت أوركيد: يعني انتَ كدا شايف إني قبلت؟

باسل: لا إله إلا الله، طيب عايزة إيه دلوقت؟

أوركيد: ولا حاجة، امشي.

وانهمرت دموعها.

باسل بنبرة حانية: طيب بتعيطي ليه دلوقتي؟! خلاص حقك عليَّ، فعلًا أنا ما نمتش طول الليل بسبب الكلام الماسخ اللي قلتهولك امبارح، أنا بس كنت قلقان عليكِ، انتِ تعتبري غريبة ولسَّا ما عرفتيش البلد كويس وخرجتِ ومش بتردي على تليفونك، طب بالله عليكِ عايزاني أحس بإيه ساعتها؟؟

أوركيد تمسح دموعها: ما علش أنا كمان غلطت، طيب هاسامحك بس بشرط.

باسل: كمان بشرط؟ طب اشرطي. ضحك.

أوركيد: تساعدني نقنع خالتو باللي هاقولهولك وتطمنها إنك هتيجي معايا.

باسل يعقد حاجبيه بشك: هو إيه بالظبط واروح فين؟؟

أوركيد: أنا هاقول لك على كل حاجة.

وقصت عليه فكرتها للذهاب لأهل أبيها.

طال صمت باسل وهو ينظر لأوركيد تارة ويحك ذقنه تارة أخرى.

حركت أوركيد يدها أمام وجهه بقوة: ها قلت إيه، تساعدني؟

رفع باسل حاجبه ولوى فمه: انتِ متأكدة من اللي بتقوليه دا يا أوركيد؟! أعتقد عواقبه مش هتكون كويسة ليك ولماما قبلك.

عقدت أوركيد حاجبيها في عناد: أيوة متأكدة، ولو ما رحتش معايا هاروح لوحدي عادي، وانتَ عارف إني أقدر أعمل دا.

باسل في هدوء: أيوة عارف.

زفر في قوة وأكمل حديثه ماشي يا أوركيد، هاساعدك وربنا يستر من اللي جاي.

وافق باسل لأجل ابنة خالته، ولا يعلم أن القادم يحتاج أكثر من قرار متهور في لحظة دون تفكير.

يتبع.

❄ ❄ ❄